

القامة... والقيم

الشيخ

انطونيوس أغناطيوس الضاهر

1899 – 1982

القامة... والقيم

بمناسبة المئوية الأولى لولادته

الإهداء

إلى السيدة الفاضلة
التي غالباً ما ذكرت صفاتها وأعمالها،
كلما ذكر زوجها الشيخ أنطونيوس،
إلى رفيقة حياته،
إلى الزوجة الصالحة
التي وقفت إلى جانب زوجها أنطونيوس،
وشاركته في حمل المسؤوليات العامة والخاصة،
إلى الأم الفاضلة التي أعطتنا كل الحنان والعاطفة،
إلى والدتنا الحبيبة نرها.

أبناء وبنات الشيخ أنطونيوس أغناطيوس الضاهر

كلمة الأصدقاء

"فجئني بمثلهم..."

الشيخ أنطونيوس أغناطيوس الضاهر، صاحب الهامة والهمم، لا يزال حاضراً في أذهان من عرفوه، وفاعلاً في الذاكرة الجماعية لمدينة القبيات ومحيطها.

وحضور الرجل، على غيابه لسبعة عشرة سنة خلت، صنعته شخصيته المميّزة ومواقفه والأفعال. لا غرو فهو ابن بيئة اكتسب منها قيماً ومعارف، وعرف كيف يفعلها ويتفاعل مع العكاريين الأصليين، لصياغة مجتمع أهلي واع، مسالم، عاتٍ على التصدع والانهيال.

ولئن كتب للرجل أن يعايش حربيين عالميتين، بالإضافة إلى ثورات داخلية، وطلائع الحرب اللبنانية الأخيرة، فإنما قيّض له، بالمقابل، أن يكون رجل الملمّات والمسؤوليات، يحمل بايمان الأمانة، ويصون بوداعة الوداعة، جامعاً في شخصه بين الحزم والليوننة والصلابة والرفقة، مآلفاً بين العقل والعاطفة، يجابه حين تجدر المجابهة ويهادن أوان تكون المهادنة سلاحاً أمضى.

وقد برهن على مدى زمانه أنه جدير بثقة من محضوه ثقتهم وولّوه على شؤون وطنية ومجتمعية وحياتية. وقد تعدّى نشاطه حدود القبيات، فالحدود الجغرافية، بالنسبة إليه وإلى مواطنيه، لا تصنع الإطار الحقيقي للموقع أو البلدة. فإطار هذه هو كل ما يحيط بها من بلدات أخرى وقرى، ومن مواقف، ومن ناس، تصنع كلّها المجتمع، الغني بتنوعه، والمثالي بسلوك أبنائه وعيشتهم الواحد.

هذه الطينة من الرجال التي كانها الشيخ أنطونيوس الضاهر، هي الخمير الحقيقي في العجنة اللبنانية، وهي "السراج المضيء الذي لا يوضع تحت مكيال بل على منارة ليرى الجميع نوره..".

انطلاقاً من هذه القناعات كانت هذه الصفحات التي أرادها أصدقاء الشيخ أنطونيوس تحية له في الذكرى المئوية لولادته. وقد استحضرت سيرته ومسيرته في التاريخ الحديث، لتحدث عنه جيل اليوم، وصانع لبنان الغد. هذه السيرة كتبها نجله الدكتور سليم، بعلمية وموضوعية حاول من خلالها، الابتعاد عن عاطفة البنوة، وقد جاءت نقلاً لوقائع وأحداث،

اجتهد المؤلف في تجميعها وإعطائها الروح ووضعها في موقعها، للإفادة من وقعها على القراء.

ولأن السيرة ليست في ما يكتب فحسب، بل في ما يعاش، ويقال، حفل القسم الثاني من هذا الكتاب بشهادات عن صاحبها تسلط الضوء على جوانب من شخصيته تفيد أبناء جيلنا والأجيال الآتية.

إن تاريخ لبنان هو تاريخ مناطقه، وأن تاريخ المنطقة هو تاريخ الناس، على اختلاف طبقاتهم ومسؤولياتهم... فحسب ما كتب عن الشيخ أنطونيوس الضاهر أن يشكل مدماكاً في بنيان التاريخ اللبناني، وأن تكون سيرته، كما مسيرته، منارة تضيء دروبنا الطويلة، ولساننا يردد مع الشاعر:

هؤلاء أجدادي فجئني بمثلهم

إذا جمعنا يا زمانُ المجمعُ

الدكتور أنطوان سعد

أمين عام جامعة الحكمة

التمهيد

"... من وعي التاريخ في صدره أضاف أعماراً إلى
عمره"

جواد بولس

نادرة هي المذكرات واليوميات والسير الذاتية في تاريخ عكار، والتي يمكن أن تركز الأضواء على مواقف الزعماء والمواطنين العاديين، وتفاعلهم مع قضايا مجتمعهم. وقليلة هي الوثائق التي يمكن الرجوع إليها، لكتابة تاريخ هذا القضاء بالشكل الشامل العلمي. وهذا ينسحب أيضاً، ولو جزئياً، على مدينة القبيات، إذ أن نسبة الوثائق المنشورة عنها حتى الآن لا تزال، نسبياً، قليلة. من هنا تبرز أهمية تشجيع القيادات والباحثين والمواطنين العاديين على السواء، على نشر ما يملكون من وثائق ذات أهمية، لكي يتسنى لكل مهتم بمواضيع تلك الوثائق أن يطلع عليها، ويستفيد بالتالي هو وغيره، منها. إن إبقاء الوثائق الهامة في الكتمان والمجهول، لا يفيد أحداً. ونحن كنا، في وثيقة بعنوان "اقتراحات من أجل رؤية مستقبلية"، قدمناها إلى الهيئة الإدارية في المجلس الثقافي في عكار خلال اجتماعها في 14/2/1990، دعونا إلى "كتابة تاريخ عكار بشمولية وضمن الإطار الوطني..." وأضفنا "ربما كان من المهم أن نتمنى على جميع المؤرخين والمتقنين أو غيرهم من داخل وخارج عكار، والذين يملكون وثائق ومخطوطات وآثار عن منطقتنا، الاتصال بالمجلس الثقافي وإطلاع المسؤولين فيه، على ما يملكون"¹. ما يهمنا الآن من التذكير بهذه الدعوة القديمة هو التشديد على أهمية نشر الوثائق الهامة وتسليط الضوء عليها.

في هذا السياق يمكن وضع مبادرتنا في نشر هذا الكتاب عن المغفور له الشيخ أنطونيوس، بمناسبة مرور مئة سنة على ولادته. طبعاً ثمة أسباب أخرى، مرتبطة بما تقدم، تحملنا على نشره، منها، وبشكل أساسي، قناعتنا الراسخة حول أهمية دور التاريخ في حياة المجتمعات والأوطان. فقد كتبنا في العام 1985، في إطار مراجعة كتيب الدكتور منوال يونس حول "قواعد النظام السياسي الأنسب للبنان"، أن الذين "يدرسون التاريخ في العمق يتجنبون تكراره ذلك أن إطلاعهم الوافي عليه يحدد نوعية ممارساتهم، وبخاصة ابتعادهم عن تكرار الأخطاء"² وأضفنا متسائلين "الم يقل المؤرخ اللبناني المعروف جود بولس أن "التاريخ هو سياسة الماضي، وأن سياسة الحاضر هي تاريخ المستقبل..."³ ولاحقاً في العام 1990، وفي إطار المشروع التربوي الوطني عن "تربية المواطن اللبناني وبناء السلام في لبنان المستقبل" الذي تقدمنا به إلى وزارة التربية الوطنية – وتحديداً إلى المركز التربوي للبحوث والإنماء، أنا وزميلي الدكتور جورج المر، رئيس المركز الأسبق، قلنا عن الوضع اللبناني "... الشعوب الحية تتعلم من تجاربها القاسية ومن تاريخها بشكل عام... فبعد كل الذي حدث ويحدث، ألا يجدر بنا أن نتوقف ملياً أمام المأساة للقيام بعملية نقد ذاتي، وإعادة اكتشاف نفوسنا، وتقويم نتائج الماضي وأخذ العبر منها، لنستشرف المستقبل، ونعمل للحؤول دون تكرار مآسي الماضي..."⁴.

¹ – راجع: د. سليم ضاهر في مجلة عكار، العدد الأول، كانون الأول 1992، ص. 5.

² – راجع: د. سليم ضاهر في مجلة "حاليات"، العدد 40، خريف 1985، ص. 66.

³ – جواد بولس، النهار في 1/أيلول 1985.

⁴ – راجع: د. سليم ضاهر في "الديار"، 8 تشرين الثاني 1990، ص. 25.

هذا التساؤل نؤكد اليوم أمام اللبنانيين جميعاً، وخاصة أبناء عكار، أملين استلهم عبر، تعكسها حياتهم ومعاناتهم وعلاقتهم مع بعضهم البعض.

وتطمح هذه الدراسة إلى الإسهام في كتابة صفحة أو صفحات في تاريخ القبيات وعكار، في القرن العشرين، وتقديم مواد محدّدة، من أجل كتابته بشكل شامل ومتكامل. ونحن مقتنعون إنّ هذا التاريخ العتيّد، وغيره من تواريخ المناطق اللبنانية، يجب أن يشكلوا روافد أساسية في الكتاب الجديد لتاريخ لبنان. إذ لا يجوز إطلاقاً أن يستمر تاريخ وطننا مقتصرًا على تاريخ جبل لبنان. إن تاريخ الوطن، متى وضع بطريقة موضوعية وعلمية، بعيدة عن إثارة النعرات، يمكن أن يشكل عامل توحيد للطوائف اللبنانية، وأن يسهم في خلق الذاكرة الجماعية في المجتمع، والتي تؤدي دورها إلى خلق فئات يمكن أن يترجمها اللبنانيون ممارسات يومية متجانسة⁵.

ومن الطبيعي أننا نتوخى في عملنا العلمي هذا، الحقيقة والموضوعية والدقة ونقصي الوقائع في ما نكتب. ولتحقيق ذلك اعتمدنا على ما رواه الوالد أمامنا نحن أولاده وأمام زوّاره وأصدقائه، عن بعض القضايا الهامة، وما روتها لنا الوالدة، أطال الله عمرها.

كما اعتمدنا بشكل أساسي على الوثائق التي كان الشيخ أنطونيوس حريصاً على حفظها في ملف خاص، إلى جانب ملف آخر كتب عليها بخط يده "شهادات الأولاد"، أي شهادتنا نحن أولاده. كما اعتمدنا على الرسائل التي بحوزته، من بعض الزعماء في عكار، والصور، والمقابلات التي أجريناها مع شخصيات ومواطنين عرفوه أو صادقوه، وحتى الذين خاصموه سياسياً، هم أو أهلهم. وهذا النوع الأخير من التّاريخ، يدعى، Oral history (التاريخ الشفهي)، كما أكد لنا شخصياً المؤرخ الكبير الدكتور قسطنطين زريق⁶.

كما أننا رحبنا بالذين منهم ابداً، مشكورين، رغبة في كتابة خطية عن الوالد، هذا طبعاً بالإضافة إلى المراجع التاريخية التي تناولت جوانب معينة من تاريخ الفترة التي عاش فيها الشيخ أنطونيوس، وجدّه طنوس أفندي ضاهر ووالده أغناطيوس أفندي.

طبعاً ثمّة سبب آخر يحملنا على كتابة هذه السيرة، ألا وهو وفاؤنا للوالد الراحل، رحمه الله، واعترافنا بفضلته الكبير جداً هو والسيدة الوالدة، علينا نحن أولادهما. وذلك أقل ما يمكن أن نقوم به تجاه الرجل الذي أعطى بدون منة لعائلته، ومدينته القبيات، ومنطقته عكار. ويسعدنا أن نعبر عن بالغ تقديرنا وشكرنا لكل من تلطف وقدم معلومات شفوية تولينا تسجيلها، ولكل من كتب شهادة خطية، عن الشيخ أنطونيوس. وإننا نرحب بكل وثيقة أو رأي يساعدنا على إلقاء المزيد من الأضواء على حقيقة هذه الشخصية التي نحن بصدد الكتابة عنها.

الدكتور سليم الضاهر

⁵ — راجع: د. سليم ضاهر في "تربية المواطن ولبنان الجديد" في "محاضرات الموسم الثقافي"، منشورات جامعة بيروت العربية، 1992، ص. 77.

⁶ — الدكتور قسطنطين زريق، أثناء مقابلة معه بتاريخ 24 أيار 1999، في مكتبه في مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت.

الجزء الأول

- الفصل الأول : نشأة الشيخ أنطونيوس
- الفصل الثاني : زعيم في القبيات وعكار
- الفصل الثالث : عمله السياسي
- الفصل الرابع : مواقفه خلال أزمة 1985
وحرب السنتين (1975 – 1976)
- الخاتمة
- المراجع

الفصل الأول

نشأة الشيخ أنطونيوس

ولادته

في العام الأخير من القرن التاسع عشر، رزق الله أغناطيوس أفندي والسيدة قرينته راجينا نادر ابنهما الثاني، فسماه الوالد انطونيوس، تيمناً بجده طنوس أفندي ضاهر. إذاً أبصر الشيخ أنطونيوس النور على مشارف القرن العشرين وتحديداً في العام 1899 في القبيات. وكان الولد الرابع في العائلة، والتي تألفت من البكر الشيخ سليم (رئيس بلدية القبيات ما بين 1934 – 1944) وحفيظة التي ستزوج الشيخ راجي نادر عبود، وجوليا التي ستزوج نسيبها الشيخ هاشم ضاهر. ونظيرة التي أصبحت راهبة واتخذت اسماً كنسياً – جيوزيا للألام (Guiseppa della Passion).

من هو والده أغناطيوس أفندي؟

هو ابن طنوس أفندي ضاهر، أحد زعماء القبيات التاريخيين، وأحد قيادات عكار في القرن التاسع عشر. إذ كما يقول أسد رستم في كتابه: "لبنان في عهد المتصرفية"، فإن طنوس أفندي ضاهر انتخب عضواً في مجلس إدارة قضاء عكار لعامي 1882 و1883، إلى جانب أعضاء طبيعيين أمثال المفتي مصطفى أفندي الكيلاني⁷. ثم أعيد انتخاب طنوس أفندي في العام 1891، ومعه من الأعضاء الطبيعيين المفتي الكيلاني ومطران الطائفة الأرثوذكسية، ومن الأعضاء المنتخبين اسعد محمد جديد وعبد الله الراسي وعثمان محمود⁸.

وكان مجلس إدارة القضاء مكلفاً بإدارة أموال الدولة المنقولة وغير المنقولة، وتقسيم التكاليف على المحلات والقرى، والعناية بالصحة العامة، وشق الطرق بين القرى⁹. وفي رأي الكاتب أ. ن. بولياك، فإن ممتلكات عضو مجلس الإدارة كانت تؤخذ بعين الاعتبار، إذ نصّ نظام على أن يكون "المجلس الإداري ممثلاً من أصحاب الأراضي والممتلكات"¹⁰ ويقول الدكتور فرج زخور أن أعضاء مجلس إدارة القضاء المنتخبين كانوا غالباً من آل مرعب، إلى جانب عائلات مسيحية، كآل الضاهر، والراسي والصراف وعطية ونادر وخوري¹¹.

⁷ د. أسد رستم، "لبنان في عهد المتصرفية"، دار النهار للنشر، بيروت 1973، ص. 223.

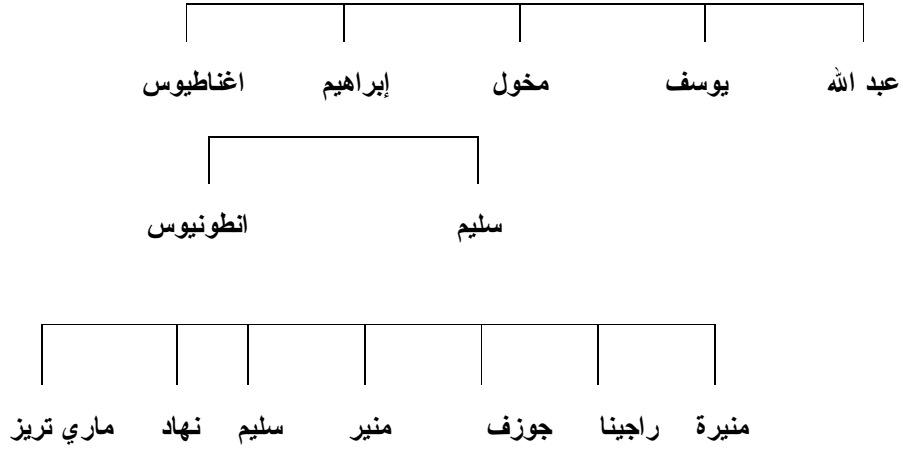
⁸ — محفوظات كاتب عدل حلبا، السجل رقم 2، ص. 84.

⁹ د. فرج زخور، "تاريخ عكار السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1908 – 1943"، 1992، ص. 104.

¹⁰ — أ. ن. بولياك، "الإقطاعية في مصر وسوريا" و"فلسطين ولبنان"، تعريب عاطف كرم، منشورات وزارة التربية الوطنية، بيروت 1948، ص. 316.

¹¹ — د. فرج زخور، "المراعية حكاه عكار"، مجلة "الأحداث"، شباط 1993، ص. 52.

طنوس أفندي ضاهر



— منيرة زوجة ميشال الفاضي. (مزياره)

— راجينا زوجة زاكي الشاطر، متوفية. (في البرازيل)

— جوزف، رئيس دائرة في وزارة المالية، متزوج من روز ضاهر.

— منير، مجاز في الحقوق، متوفٍ.

— سليم، دكتوراه دولة في العلوم السياسيّة، متزوج من المحامية كارول سعيد.

— نهاد زوجة سهيل ماضي. (في الغوادلوب)

— ماري تريز زوجة سامي البستاني. (دير القمر)

كان اغناطيوس أفندي متعلماً ومحباً للعلم. ويخبر الشيخ هاشم ضاهر¹² أنه كان ذكياً جداً، ووصل إلى مستوى متقدم من العلم، في وقت كان تحصيل العلم قليلاً بين الناس. وهذا ما شجع السلطات التركية، بالإضافة إلى مكانة والده طنوس أفندي، في قضاء عكار، على تعيينه مستنطقاً في حلبا. وشارك اغناطيوس أشقاؤه، وخاصة مخول وإبراهيم، في ممارسة دور الزعامة بعد وفاة والدهم. وقد أصبح مختار أول القبيات، بعد أن استقال من منصبه كمستنطق. وكان ميسوراً، وقد ازدادت ثروته بعد أن أقام علاقة عمل مع تاجر الحرير البيروتي إبراهيم بك فرعون. والشيخ اغناطيوس كان وكيل هذا الأخير قبل الحرب العالمية الأولى. وكان فرعون " أول من أقام كرخانة (معمل الحرير) على الطراز الحديث في عكار ... كان في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر في القبيات" كما يقول المؤرخ الدكتور فؤاد سلوم¹³.

طبعاً ليس القصد في هذا المجال أن نكتب بالتفصيل عن الشيخ اغناطيوس لكننا سنكتفي بذكر حادثة واحدة، هي في رأينا، ذات دلالات عدّة. ففي الفترة التي كان فيها مستنطقاً في حلبا اختلف أحد أبناء القبيات السيد مخول عيسى الشدياق، مع أحد أبناء فنيديق. ودفاعاً عن النفس اضطر الشدياق إلى قتل الرجل. وما أن

¹² — مقابلة معه بتاريخ 14 تشرين الثاني 1988 في منزله في القبيات.

¹³ — د. فؤاد سلوم، "صناعة الحرير في عكار (1800 — 1950) في المؤتمر عن عكار في التاريخ العثماني 1516 — 1918"، دار الإنشاء للطباعة والنشر، 1995، ص 209 و203.

علم الشيخ اغناطيوس بالأمر، حتى اتصل بأصدقائه المشايخ علماء الدين في فنيديق، طالباً مساعدتهم. وتوجّه مع وفد من أصدقائه إلى منزل القتيل، فاستقبلوا بما يليق بهم. ولما قدّمت لهم القهوة، قال الشيخ اغناطيوس "لن أشرب القهوة"، وعرف أهل القتيل مقصده، وإكراماً لمكانته ومكانة المشايخ العلماء أصدقاءه، قالوا له "اشرب القهوة وما تريده سيتم" فشربوا القهوة واتفقوا على إسقاط الحق عن القاتل، وتقديم الدية عن القتيل. الأستاذ جورج نايف الشدياق، حفيد السيد مخول عيسى الشدياق، أشار إلى هذه الحادثة في شهادته الواردة في الجزء الخاص بالشهادات¹⁴.

عن بعض موافق الشيخ اغناطيوس يروي الدكتور يوسف ضاهر حفيد شقيقه الشيخ مخول، نقلاً عن العقيد المتقاعد في الجيش، خليل ضاهر، ابن الشيخ إبراهيم ضاهر، أن اغناطيوس وأشقاه مخول وإبراهيم، تواروا عن الأنظار في عهد السفاح جمال باشا، لأنه كان ينوي القضاء عليهم، وبقيّة الأحرار في لبنان، نظراً لمواقفهم المعادية للأتراك، على غرار ما فعل بشقيقهم الأكبر الشيخ عبدالله طنوس ضاهر، الذي أعدمه السفاح التركي شنقاً في عاليه.

لما انتقل الشيخ اغناطيوس إلى رحمة الله، وكان ذلك في العام 1928، افتقده الكثيرون ممن عرفوا الراحل الكبير عن قرب، وقدّروا ما كان يتمتع به من صفات ومزايا. نذكر على سبيل المثال ما كتب الخوري انطونيوس جعجع (والد الأطباء جورج و خليل). من بشري، في رسالة التعزية، إلى نجلي الشيخ اغناطيوس سليم وانطونيوس والعائلة، في 7 نيسان 1928، " ...عميدكم سليل بيت المجد والمفاخر ... وكان فخر المجالس وزينتها ومصدر الأفضال ومرجعها فتباً للزمان الغدار الذي أبى ألا أن يفجعنا بأخر عيد لعائلة ضاهر العزيزة. فرحمة الله عليه ما كان أعطفه على الأهل وأحبه على ذويه وأغيره على مصالح بلاده العامة والخاصة. نعم أنه مات مأسوفاً عليه جداً لكن الذكر الجميل الذي تركه وراءه سيكون بمثابة مشعل يضيء سبيل البنين والأحفاد للسير وراء أمثاله وأمجاده المنقطعة النظير ..."¹⁵.

دراسته

أرسل الشيخ اغناطيوس ابنه انطونيوس لتلقي العلم في مدرسة سيدة القلعة في بلدة منجز، التي أسسها الآباء اليسوعيون في العام 1897. وكانت من أفضل مدارس تلك الحقبة. وكانت ذات نظامين داخلي وخارجي، وأسأتذنتها من خريجي كلية اليسوعيين الجامعية في بيروت، كما يقول الدكتوران الأب عفيف موراني وفؤاد سلوم¹⁶ والمواد التي كانت تدرس كانت تضمّ العربية والفرنسية والحساب والرياضيات والتاريخ والجغرافيا، والتعليم الديني والتاريخ الكنسي¹⁷ وقد درس على آباء أفاضل وأهل علم، فأتقن اللّغة العربية، وأجاد الفرنسية. كما تلقى دروساً في مدرسة أخوة المدارس المسيحية (Frères des Ecoles Chrétiennes) في طرابلس. وأجاده الفرنسية كانت تساعد للتواصل مع المسؤولين الفرنسيين في عكار في تلك الفترة، ومنهم الكومندان نواريه (Noiré) زوج والدة السيدة روز زوجة الرئيس الراحل فؤاد شهاب،

¹⁴ - الرجاء مراجعة شهادة الأستاذ جورج شدياق.

¹⁵ - راجع: الوثيقة رقم 1.

¹⁶ - "النهار" - نهار الشباب، 14 آذار 1995، ص 13.

¹⁷ - د. فؤاد سلوم، "درب عكار 1850 - 1950"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الروح القدس - الكسليك،

1992، ص. 323.

الذي كان ضابطاً في تلك الفترة. كما ساعدته على التحاور مع غيره من الفرنسيين والزوار الأجانب. وبعض المراقبين الدوليين أثناء أحداث العام 1958. وما نذكره نحن وغيرنا، هو أنه كان يكتب وهو ممسك بالورقة مسطحة على يده بدون حاجة إلى دفتر أو مقوٍ آخر تحتها.

وإنقائه العربية بالإضافة إلى كفاءته البارزة كانت من الأسباب التي حملت بقية زعماء القبيات والمواطنين، على التمني عليه كتابة العرائض باسمهم، والاتفاقات فيما بينهم. في شبابه المبكر ظهرت عليه إمارات الذكاء الشديد والشخصية القوية. فكان كبار الموظفين الأتراك الذين يزورون والده ينادونه بـ "ولي العهد" وقد أسندوا إليه مهمة إدارية - مالية، وهو لم يزل طري العود. دون الثامنة عشرة من عمره. وفيما بعد وبعد زوال الاستعمار العثماني، وفي مرحلة الانتداب الفرنسي على لبنان، كان المسؤولون الفرنسيون في عكار، ومن عمل معهم من اللبنانيين، خاصة في تكنة عندقت، يدعونه أمير المخاتير (Le Prince des Moukhtars).

صداقاته في فتوته وشبابه وذكريات عن القبيات

في فتوته وشبابه ربطته صداقه قوية بأبناء أعمامه خليل وطنوس (أبناء عمه الشيخ إبراهيم) ووديع (أبن عمه الشيخ مخول)، وبخاله الشيخ نادر شاهين نادر وأنسبائه المشايخ هاشم ظاهر ومطانيوس حنا ظاهر. وأبن خالته يوسف إبراهيم الياس الخطار.

وربطته بخاله الشيخ نادر شاهين علاقة محبة واحترام كبيرين. وكان الشيخ معجباً بشخصية خاله وتقواه. وكان يحب نسيبه الشيخ هاشم إلى الحد الذي كان كلما اراد أن يقول لشخص ما انه يحبه كثيراً، كان يقول له "حبك مثل هاشم"، وكان الشيخ معجباً باستقامته وجرأته وطيب معدنه وخصاله.

وأحب الشيخ نسيبه الشيخ مطانيوس حنا ظاهر للخصال التي تميز بها، وخاصة استقامته وجرأته.

أما علاقته بأن عمه الشيخ خليل فقد استمرت طوال حياته. إذ لما اضطر إلى السكن في بيروت، بدءاً من العام 1969، كان يفرح بلقاء أبن عمه العقيد خليل وعائلته بشكل مستمر. وحافظ الاثنان مع عائلتهما، على لمحبة التي جمعتهما، منذ شبابهما، واستمرت حتى فرقهما الموت.

ومحبة الشيخ لابن عمه الآخر الشيخ طنوس حملته على أخذ المبادرة في طرح اسمه كمرشح لرئاسة بلدية القبيات، والإسهام في تأمين فوزه، في الستينات، كما سئرى بالتفصيل فيما بعد.

وفي مرحلة لاحقة، سوف يعتمد الشيخ انطونيوس على أبناء شقيقه الشيخ سليم، وخاصة المشايخ جودت وفؤاد ورامز، في المناسبات الهامة، وفي عمله السياسي بشكل عام.

وقد اخبرنا أكثر من مرة كيف أن الجنود الأتراك أخذوه هو وأبن عمه خليل إلى الجندية، والتي كانت تُعرف آنذاك بالسوقيات وهذه كانت قد حدثت خلال سنوات الحرب العالمية الأولى. وكانت تشمل البالغين للخدمة العسكرية، من مختلف الطوائف، بعد أن كانت مقتصرة على الطوائف الإسلامية، قبل إعلان الدستور في سنة 1908¹⁸ وكان سوق المجندين إلى التكنات أو إلحاقهم بوحداتهم في ميادين القتال، يعرف باسم

¹⁸ - د. فرج زخور، المرجع المذكور، ص. 24.

سفربرلك¹⁹ وفي الطريق إلى إحدى الجبهات فرّوا خلسة من القطار الذي كان يقلهم، قرب قرية العريضة الحدودية، وساروا مشياً على الأقدام حتى وصلوا إلى منزل صديق والديهما الزعيم محمد بك الرشيد العبود، في بلدة دارين، حيث استقبلهما بالترحاب، بعد أن كان مازحهما قائلاً: "لقد حسبناكم من الشحادين"، إذ كان التعب والخوف بادٍ على وجهيهما، فضحكوا جميعهم، وارتاحوا وناموا ليلتهما عند هذا الصديق. وبعدها قام محمد بك الرشيد بتأمين وصولهما إلى القبيات.

وكان الشيخ انطونيوس معجباً بنكاه وأخلاق ابن خالته، وصديقه يوسف إبراهيم الياس خطر، وبأسلوبه الأدبي. وقد روى لزوارة بحضورنا أكثر من مرة حادثة طريفة حصلت مع نسيبه يوسف بعد عودته من أول سفرة إلى البرازيل، قال "عندما عاد يوسف وكان أحرز بعض النجاح في مغتربه البرازيل كثير "محبوه"، وتحلّق حوله الذين شجعوه على إقامة المآدب لهم. فيما ظلّ الشيخ انطونيوس بعيداً، عن ابن خالته الذي جمع بعض المال في مغتربه. وظلّت الحال هكذا، حتى أضحى ابن خالته طفراناً، وسمع أنه اقترض مبلغاً من المال من خاله المرحوم نادر شاهين نادر، عندها دعاه الوالد إلى منزله وسأله قائلاً له "ماذا حدث يا يوسف، وأنت كنت الأذكي في جيلنا؟" ففهم ابن خالته ما يرمي إليه الوالد، وقال له على الفور وبأسلوبه العفوي المحبب "لا تكمل يا انطونيوس. إن الذي يذهب إلى البرازيل، ويبقى فترة طويلة يصبح ج...". فضحك الصديقان، وشكر يوسف صديقه انطونيوس، على صراحته ونصائحه.

وتبادل الشيخ انطونيوس ونسيبه وصديقه المغترب يوسف الرسائل، بدءاً بالعشرينات من هذا القرن. وقد احتفظ الوالد برسائل نسيبه، وبين أيدينا ثلاث منها. يذكر في مقدمة الأولى المرسلّة من ريو دي جانيرو والمؤرخة في 2 تشرين 1923، أنه استلم تحرير الوالد الذي يقول عنه: "وصلني تحريرك الأنيب الذي به من غالٍ ونفيس تلوته مرّات عديدة وكل مرة كنت أجد لذةً وعذوبة أكثر من الأخرى...". ثم يحدثه عن ذكرياتهما وخاصة مشاويرهما إلى نبع "عين الست" المشهور لدى أبناء القبيات، بأسلوب شاعري رقيق قائلاً له «... تحريرك بين يدي أطالعه بسرور وأشعر به ولا أستطيع التعبير عنه تراني مما أمعن به وأطالعه تلمس روجي روحك فأتوق لمشاهدتك تحت سماء الوطن كي أحملك على ذلك الوادي الجميل الذي يتدفق فيه نبع عين الست وهناك نجلس كما كنا نجلس سابقاً ونألف الجمعيات ولنتذكر ما مضى ولكن هيهات أن يعود الأمس إلى الغد... لذلك أرجو منك أن تكثر لي من ذكر الأهل والأصحاب واذكرني كلّما طلع قمر القبيات من وراء تلك الجبال العالية المكّلة بالأحراش والزهور والرياحين...»²⁰.

جواباً على رسالة صديقه انطونيوس المؤرخة في 20 كانون الأول 1925، وفي رسالة أخرى مؤرخة في 10 شباط 1926، لم يفت المغترب يوسف أن يذكر ابن خالته بمعرفته، أنه يفضل الأسلوب المختصر القليل الكلام والعميم الفائدة، فيكتب له «بمنتهى السرور استلمت رسالتك الكريمة في 20 كانون الأول المنصرم قرأتها فلذني مطالعتها نظراً لما حوته من قلة الكلام وكثرة الفوائد أعني بذلك أنك تريد الاختصار...»²¹.

¹⁹ — طلال المجذوب، "التجنيد الإجباري أيام سفربرلك"، مجلة الجندي اللبناني، حزيران 1983، ص. 71.

²⁰ — طالع: الوثيقة رقم 2.

²¹ — طالع: وثيقة رقم 3.

زواجه وأسرته

تزوج الشيخ انطونيوس من الأنسة نرها قسطون، كريمة الشيخ سليم جروج قسطون والسيدة عقيلته مريانا، ابنة عمه الشيخ عبدالله طنوس ضاهر، في العام 1938. وقد تمّ الإكليل في منزل هذا الأخير في القبيات، نظراً لوجود والد العروس في البرازيل، وكان إشبين العريس صديقه الشيخ هاني مسعود، أحد زعماء بلدة عندقت. وتذكر السيدة الوالدة أن الزعيم الشمالي سليمان بك فرنجية تلطف يومها وعرض على الوالد يومها أن يكون هو اشبينه في الإكليل. فشكره الشيخ انطونيوس على مبادرته الكريمة قائلاً له: «نحن نريد أن نقوي حزبيتك، والأفضل للجميع أن يكون الشيخ هاني هو الاشبين» فسر سليمان بك بجواب الشيخ انطونيوس، وهكذا صار. وكانت إيلين ابنة شقيقه سليم اشبينه العروس.

وتروي الوالدة أنه أثناء تمضيّتهم شهر العسل في أوتيل القادري في زحلة، اتصل الشيخ سليم وقال لشقيقه العريس أن العديد من زعماء وأهالي المنطقة حضروا للتهنئة. لذلك قرّر قطع شهر العسل وعاد وعروسه نرها في اليوم الخامس. وما إن وصلا إلى بلدة السيدة حتى بدأت مواكب المستقبلين والخبالة تحيط بهما، ورافقوهما إلى منزلهما، حيث احتشد أبناء القبيات والمنطقة، لاستقبال العروسين. وليلتها رقص الشيخ هاني مسعود على طاولات المأدبة التي أقيمت بالمناسبة. واستمرت التهانى والاحتفالات مدة عشرة أيام.

رزق الله الشيخ انطونيوس وعقيلته سبعة أولاد أربع بنات وثلاثة صبيان. وكانت منيرة الابنة البكر، ثم تلاها راجينا وجوزف ومنير وسليم ونهاد وماري تراز. وتروي الوالدة أنه عند ولادة جوزف الابن الأكبر للشيخ انطونيوس، عبّر أصدقاؤه ومؤيدوه العديدين عن فرحتهم، بإطلاق الرصاص الغزير.

وقرّر الشيخ انطونيوس أن تتم مراسم عمادة ابنه جوزف في كنيسة ما يوسف في عندقت، وما أن وصلوا قرب مزار مار الياس على مدخل عندقت، حتى تقدم لاستقبالهم مشايخها الشيخ هاني مسعود _ الشيخ عبدو فخر والشيخ وحيد نصار _ الشيخ يوسف نفاع _ الشيخ يوسف مسعود (...)، وجمهور كبير من أهاليها، وساروا معهم إلى الكنيسة، وسط تقديم الضيافة والعرق.

الفصل الثاني

زعيم في القبيات و عكار

"عرفته شيخاً للقبيات، وزعيماً مرموقاً من زعماء منطقة عكار، بيته مفتوح أمام كل زائر وطالب مساعدة..."

السفير هنري أبو فاضل

" كان ركناً سياسياً على صعيد السياسة في الشمال. وكان مرجعية سياسية أساسية، في القبيات دائماً. ولما كان مرجعية وحيدة، سنة 1958..."

المؤرخ الدكتور فؤاد سلوم

الزعامة السياسية التي كان يمارسها اغناطيوس أفندي آلت بالوراثة إلى نجليه الشيوخين سليم وانطونيوس. وكانا قد استحقاها عن جدارة، ومارسا السياسة معاً. يعضد احدهما الآخر، على أساس الاحترام الكبير المتبادل والثقة الكبيرة المتبادلة. وهذه العلاقة كانت أحد أسباب نجاحهما في العمل السياسي. وحيث أننا نتناول سيرة حياة الشيخ أنطونيوس، فمن الطبيعي أن يتم التركيز على شخصيته، وسنتكلم عن دور وموقع الشيخ سليم كلما شارك بالقيام بعمل ما.

إذا استحق الشيخ أنطونيوس الزعامة عن جدارة بعد أن ظهرت ملامح شخصيته القوية وذكائه وقدراته، في سن مبكرة، وكما ستزدها الأيام وضوحاً، حيث أضاف إلى مضمون الزعامة أبعاداً جديدة. وكان الشيخ أنطونيوس قد وعى الحياة السياسية على أخبار والده وجده طنوس أفندي، ومن الخبرة العملية التي اكتسبها من وجوده اليومي مع أهله في ما كان يدعى «المنزل»، حيث كانوا يستقبلون ضيوفهم وزوارهم، يناقشون قضايا ومشاكل وشؤون تهم الجميع — من خدمات وحاجات الأهالي، إلى علاقاتهم مع بقية الزعماء في القبيات وعندقت والبيرة وعكار العتيقة وعيدمون وشدرا ومشتى حمود، وكل عكار. هذا بالإضافة إلى العلاقات مع القيادات الدينية والمسؤولين والموظفين الرسميين... في المنطقة...، وغيرها من المواضيع التي تمس حياة الجميع. وفي فترة لاحقة قرر فتح منزله الخاص للضيوف والزوار وذوي الحاجة، وأزرتة في ذلك زوجته السيدة نرها، إذ كانت تشاركه الترحيب وتتولى تكريم كل من يقصدهم، بما يليق به وبهم. في شهادته في الشيخ انطونيوس كتب السفير هنري أبو فاضل «عرفته شيخاً للقبيات، وزعيماً مرموقاً من زعماء منطقة

عكار، بيته مفتوح أمام كل زائر، وطالب مساعدة. تعاونه في حياته زوجة فاضلة لم تكن يوماً تتأفف من استقبال زائر أو طالب عون...»²².

وفي مقابلة لنا مع العميد المتقاعد فهمي حمدان، الذي كان أحد مسؤولي مجموعة الجيش اللبناني المتواجدة في القبيات عام 1958، بادر إلى الكلام عن دور «الشيخة» التي كانت تساعد الشيخ أنطونيوس وتعاونته. إذ غالباً «ما كان يدعو ضيوفاً إلى العشاء بموعد أو بدونه. ولم نرَ الشيخة تتذمر أبداً، بل كانت تظهر بعد فترة من الوقت، وكأنها كانت مستعدة لأن البيت كان مفتوح ومضياف»²³.

كان الشيخ أنطونيوس يحترم كل إنسان، ويبادر إلى السلام على الجميع، ولو كانوا اصغر منه سناً، أو كانوا لا يشاطرونه رأيه وسياسته. كان يحترم حتى خصومه السياسيين، فاكتمسب احترام الجميع، لا بل تعاونهم في بعض المناسبات. الشيخ اسكندر غصن، احد خصومه السياسيين السابقين، يقول عنه «أتمنى أن يكون هناك مثله عشرة زعماء على الأقل. أولاً كان ذكياً. ثانياً كان ابن بيت. ثالثاً كان مشغولاً بالسياسة الصحيحة التي ليس فيها طلعات ونزلات. كان يخدم الجميع وكان عنده حب كبير لصدقاته. حتى خصومه السياسيين كانوا أصدقاءه»²⁴ وتضيف زوجته السيدة حواء فرنجية التي شاركت في الحديث «إن الشيخ أنطونيوس أودم شخص. لأنه صديق جدي. وإذا تكلمت معه تصل إلى نتيجة .. لم أكن اعرفه، إنما المكتوب يقرأ من عنوانه. الذي عرفته عنه كان من يوسف (الشيخ يوسف سليم غصن) ومن اسكندر (زوجها)، اللذان كانا يقدرانه جداً. كان يوسف يقول لي أن من يضع يده بيد الشيخ أنطونيوس يكون محظوظاً. كان يعامل الناس بأسلوب يحبه الجميع... كان مقنعاً في كلامه. وعندما كانوا يتكلمون في عائلتنا (آل فرنجية) عن آل الزاهر كانوا يذكرون الشيخ أنطونيوس أولاً²⁵». في أكثر من مناسبة روى الشيخ أنطونيوس لنا ولزواره ما حصل له مرة مع خصمه السياسي الشيخ يوسف سليم غصن قائلاً: حضر ذات يوم الأب لوران فارس لزيارتنا أثناء فترة انتخابات، وطلب مقابلي على حدة، فدخلنا إلى الصالون، حيث جلسنا معاً. بعدها قال لي الأب لوران إن الشيخ يوسف يهديك السلام، وقد أرسل لك هذه الصورة. فتناولها منه وتطلعت إلى صاحبها ثم قلبتها لأرى ما هو مكتوب على ظهرها، فعرفت أنها موقعة مني وان خطأ قد حصل، إذ سجلت اسماً غير اسم صاحب الصورة. وفوراً رديتها له دون أن اذكر شيئاً. وإزاء تعجبه وسؤاله عن عدم اهتمامي بهذا الموضوع، رديت بسرعة «لو كان الشيخ يوسف يريد الأذى لما أرسلها لي». وهذه الحادثة يعرفها العديد من أبناء القبيات.

حادثة أخرى نوردتها هنا لأنها بالغة الأهمية في نظرنا. في لقاء لنا مع السيد رزق الله حنا، أحد مؤيدي الشيخ يوسف سليم غصن، والذي كان يرافقه في زيارته للشيخ أنطونيوس، قال لنا «أثناء ثورة 1958 تسربت أخبار إلى الشيخ يوسف أن الثوار كانوا سيهاجمون القبيات، وأنهم كانوا يريدون أن يأخذوا زعماء القبيات، وخاصة الشيخ أنطونيوس، كرهائن، لتقوية مواقعهم قبل الهجوم، والمساومة مع أهالي القبيات على هذا الأساس. فقال لي أن أذهب إلى الشيخ أنطونيوس مساء ذلك اليوم وأخبره بما سمعته، وأطلب إليه عدم مغادرة البيت. فذهبت وكان المرحومان مخول عيسى الشدياق ويوسف مارون في زيارته، فنقلت إليه الخبر. وبعد

²² — راجع: شهادة السفير هنري أبو فاضل.

²³ — مقابلة مع العميد فهمي حمدان في الحمام العسكري في بيروت بتاريخ 1999/8/25.

²⁴ — مقابلة مع الشيخ اسكندر غصن في منزله في زغرنا، بحضور زوجته السيدة حواء، بتاريخ 25 أيار 1999

²⁵ — مقابلة مع الست حواء فرنجية غصن، في منزلها في زغرنا بتاريخ 25 أيار 1999.

يومين طلب الثوار لقاءً مع مشايخ القببات، في مكان قرب المطحنة، على طريق حي القطبية. لكن ذلك اللقاء لم يتم. "وأهى السيد حنا حديثه بالقول: "كان الاثنان (الشيخان يوسف وانطونيوس) على علاقة جيدة، لكن في السياسة كان كل واحد يذهب في طريقه"²⁶، وحيث أن فترة الثورة تلك كانت حبلية بالأحداث الهامة، نرى من المناسب أن نذكر هنا ما أخبرنا به نائب عكار السابق الصديق عبد الكريم بك القدور عن إحدى مفارقات تلك الفترة. وكان له كما قال لنا، "شرف قيادة الثورة..". روى أن الثوار أوقفوا الشيخ يوسف سليم غصن في المنية بعد أن وجدوا معه كمية كبيرة من المال، كانت مرسله من أبناء القببات في الجيش إلى عائلاتهم. وأخذ هؤلاء إلى مكتب عبد الكريم بك في سهل عكار، فأكرم وفادته. وودعه بكل احترام. وفي هذه الأثناء وصل خبر توقيف الشيخ يوسف إلى الشيخ انطونيوس، فكتب لنا على الفور رسالة يستغرب فيها هذا العمل (الذي لم يكن مسؤولاً عنه عبد الكريم بك، وإنما المجموعة التي احتجزته) ويعاتبه بأسلوب ذكر الصديق النائب (السابق)، كما قال لنا²⁷، بقول الشاعر:

"علمته رمي السهام فلما اشتد ساعده رماني"

وربطته أيضاً علاقة صداقة مع خصمه السياسي الآخر الشيخ فريد عبدو، استمرت حتى وفاته وكان يحرص هو وعائلته على المحافظة على تلك الصداقة، من خلال الزيارات المتبادلة، وخاصة من خلال مشاركتها في الشؤون الخاصة لكليهما. فمثلاً في صيف كل عام عندما كان يحضر أبناء الشيخ فريد من فنزويلا الشيخين إيليا وراجي، لزيارة لبنان، كان الشيخ انطونيوس وعائلته يذهبون إلى منزل العائلة في حي مرتورة للسلام عليهم، والاطمئنان عن أحوالهم.

وكان الزعيمان يلتقيان باستمرار، مع أصدقائهما، في مقهى السادة "طنوس وأديب ديب" في ساحة القببات، كما سنرى لاحقاً. ويوم انتقل الشيخ انطونيوس إلى رحمته تعالى ونقل جثمانه إلى القببات يوم الاثنين في 6 كانون الأول 1982، كان الشيخ فريد _ رحمه الله _ أول المستقبلين في ساحة القببات، والحزن باد على وجهه.

في إطار هذه العلاقة الطيبة التي ربطت بين العائلتين، لم نفاجأ أبداً بالموقف الإيجابي اللافت الذي يستحق كل ثناء، وشكر الذي اتخذته الشيخ إيليا عندما اتصلنا به هاتفياً في أواخر صيف 1998 وسألناه إذا كان لديهم وثائق وصور عن بعض جوانب العلاقة بين والدنا، فكان جوابه العفوي والفوري انه سيطلب من ابن شقيقه الشيخ أميل أن يضع تحت تصرفنا أوراق المرحوم والده. وهذا ما تم بالفعل. فلهما شكرنا وتقديرنا.

ويقول السيد يوسف الزريبي عن العلاقة بين الشيخ انطونيوس وشقيقه من جهة، وآل عبدو من جهة ثانية "كان هنالك خصومة دائمة بين والدكم وعمكم سليم، وبين آل عبدو. ومرة كان شخص من آل مارون يعمل في منزل الشيخ جواد عبدو في حي الزواريب. وبينما كان يدق البارود في الجرن، انفجر البارود وقتل. وكان والدكم وعمكم في طرابلس، فدعت جدتكم وامرأة عمكم (لم يكن والدكم قد تزوج بعد) المستنطق على الغداء. ولما علم والدكم وعمكم عادوا فوراً إلى القببات. عندما دخل الشيخان سليم وانطونيوس، قالت الناس في القببات إنهم سيخربون بيت جواد عبدو. وبعد خروجهم قالوا لهم لقد سنحت الفرصة لترتاحوا منه. فرد

²⁶ _ مقابلة مع السيد رزق الله حنا في منزله في القببات _ الصهر بتاريخ 1999.

²⁷ _ مقابلة مع النائب السابق عبد الكريم بك القدور في منزله في طرابلس بتاريخ 2 أيلول 1998.

الشيخان قائلين الخصومة لا تعني الانتقام. نحن نتخاصم لمصلحة القبيات، وليس لإلحاق الضرر لبعضنا". وعلق السيد الزريبي على تلك الحادثة قائلاً:

"أنا أقدر هذا العمل كثير كثير. إن الشخص الذي لا يضر خصمه تكون نفسه عالية"²⁸.

من هذه الأمثلة وغيرها، من الطبيعي أن يلاحظ الباحث أن زعماء القبيات الراحلين كانوا بعيدين عن إلحاق الأذى ببعضهم ببعض وبالمؤيدين لكل منهم. لا بل كانوا يبادرون إلى المساهمة في حماية بعضهم البعض عندما تستدعي الظروف ذلك.

كان لصيقاً بأبناء منطقته وشاركهم أفرحهم وأتراحهم. وكان يحرص على القيام بواجباته الاجتماعية، خاصة أثناء التعازي بموت أحد أبناء المنطقة. فهو أحب القبيات وأهلها وكان يعتز بانتمائه إليها وبالعلاقة المحبة والصدافة التي ربطته بأبنائها. ولم يكن ميالاً لمغادرة القبيات، ولو مؤقتاً، إلا عند الضرورة، وخاصة عندما تستدعي قضايا وحاجات ومشاكل الأهالي منه أن يذهب إلى حلبا وطرابلس وبيروت، لمراجعة المسؤولين المعنيين. وعندما ذهب أولاده لمتابعة دراساتهم الجامعية في العاصمة، في العام 1969، اضطر مرغماً على الانتقال إليها مع عائلته وكان يعود إلى القبيات، في الأعياد وطوال فصل الصيف. وبقي على اتصال دائم بأهلها، أما بزيارة أبناء القبيات القاطنين في بيروت لمنزلة في الأشرفية، وأما بلقاء الذين يزورون العاصمة، في مقهى "الجمهورية" أو "البرازيلية" في ساحة البرج، وأما بالهاتف. لم يكن الشيخ انطونيوس يستسيغ نسق الحياة في بيروت، والتي تختلف إلى حد كبير عن حياة القبيات، من حيث العلاقات الاجتماعية والصدافات، وغيرها: وما خفف عنه وطأة الحياة الجديدة، طبعاً بالإضافة إلى عائلته، وأبناء القبيات بشكل عام، هو وجود أقرباء وأصدقاء له كان يراهم باستمرار وفي مقدمتهم ابن عمه العقيد المتقاعد خليل ضاهر، وصديقه القديم الأستاذ وديع عطيه من ببنو..

كان الشيخ انطونيوس يحظى باحترام الزعماء والأهالي على السواء. وكانت كلمته يركن إليها في اتخاذ القرارات التي تمس المصلحة العامة، وفي أكثر من مرة، كان يكتب بخط يده الاتفاقات بين الزعماء والأهالي أو باسمهم، فيوافقون على مضمونها ويوقعوها، كما تشير العريضة المرفوعة إلى "رئيس وأعضاء مجلس بلدية القبيات" عن موضوع "جر المياه التي يستفيد منها ملاك الأراضي في أحياء "الغربية ومرتمورة والذوق وقسم من الضهر"²⁹. والأمثلة الأخرى عديدة، لكننا سنكتفي بمثلين فقط، رواهما لنا السيد يوسف سركيس الزريبي الأول يتعلّق بموضوع شق طريق عام القبيات، قائلاً "كان هناك مشروع لشق طريق من البيرة إلى حي مرتمورة وصولاً إلى حي الضهر في حوالي العام 1926. وقد عقد اجتماع في دير الآباء الكرمليين، من أجل هذه الغاية. وعندما علم الشيخ انطونيوس بالأمر، لم يوافق على ذلك. واقترح أن تشق الطريق من الغربية مروراً بمرتمورة، حتى حي الذوق، ومنه إلى الضهر لأنها تكون أفضل كذلك. ويمكن بلدة عيديمون أن تستفيد منها أيضاً، وهذا ما تم بالفعل"³⁰.

²⁸ — مقابلة مع السيد يوسف سركيس الزريبي في منزله في القبيات بتاريخ 9 أيلول 1999.

²⁹ — راجع: الوثيقة رقم 4.

³⁰ — مقابلة مع السيد يوسف سركيس الزريبي بتاريخ 1979/9/9.

والمثل الثاني يتناول موضوع توزيع المياه بين أحياء القبيات، إذ قال "كانت تحدث مشاكل بين الغربية والذوق والضهر حول توزيع المياه.. وكان الدكم يحل الإشكالات دائماً³¹."

قدم الشيخ انطونيوس كل طاقاته العقلية والسياسية والمادية لخدمة أبناء القبيات وعكار. وكان لديه إحساس مرهف بالمسؤولية تجاه من وضعوا ثقتهم، فكان يحرص على حملها بأمانة ودقة، لذلك كان يبادر إلى مساعدة الأهالي أصحاب الحاجة، على اختلاف فئاتهم. وطوائفهم، مسلمين ومسيحيين وتأمين الخدمات لهم.

ماذا كانت تشمل تلك الخدمات؟

طبعاً كانت، بشكل عام، تمس حياة الناس ومشاكلهم اليومية. وكان الكثير منها مرتبط بإيجاد فرص عمل أو وظائف لأبناء المنطقة، في مؤسسات الدولة. وكان يشجع أبناء القبيات والمنطقة على الانخراط في الجيش لايمانه الكبير بدوره الوطني والأمني. والأوفياء لا يزالون يذكرون حتى اليوم مساعدة الشيخ انطونيوس لأنسابهم، ونذكر منهم مختار عكار العتيقة السيد محمد المصري وابن بلدته السيد احمد الأسعد. ومما كان مرتبطاً بمشاكل الأهالي اليومية نورد حادثة ذكرت لنا في أكثر من مقابلة، وهي تتعلق بتوقيف مكارية من القبيات في سوريا، على الأرجح في بداية الأربعينات، وكان هؤلاء ينقلون كمية من الأخشاب على البغال إلى سوريا فضبطهم رجال الجمارك السوريين وأوقفوهم، وكانوا معظمهم من أحياء ذوق النحتاني وغوايا. فلما علم الشيخ انطونيوس بتوقيفهم، بادر إلى الاتصال بأصدقائه من أجل المساعدة على إطلاقهم. وقد حمل رسالة من صديق له إلى مطران الروم الأرثوذكس في الشام من أجل هذه الغاية، وهذا الأخير كلف نائبه بالذهاب مع الشيخ انطونيوس إلى مكتب الوزير المختص. وفور وصولهما استقبلهما الوزير بالترحاب. ولما لاحظ هذا الأخير أن نائب المطران لم يظهر عليه إمارات الارتياح الكامل قال له: "يا محترم، ارتاح ويللي بدك ياه بيصير. أنت في حضرة تلميذك في الصف الثالث" عندها انشرح صدر الاثنان نائب المطران والشيخ انطونيوس.. وفي الوزير بوعد و قام بإطلاق أبناء القبيات الموقوفين، وبعد حوالي الأسبوع اصطحبهم الشيخ انطونيوس معه من دمشق إلى القبيات حيث استقبلوا استقبالاً منقطع النظير وتروي لنا الوالدة أن أبناء غوايا أهبوا جبل الراس ليلتها.

ثمة نوع آخر من الخدمات، ربما يلقي مزيداً من الضوء على شخصية الشيخ انطونيوس. وهذا النوع يكمن في مصالحة الناس المتخاصمين، قبل وصولهم إلى المحكمة،³² التي كانت موجودة في حلبا، قبل أن يتخذ قرار بتأسيس محكمة في القبيات. كما كان يساهم في تأمين السكن للموظفين من مدنيين كانوا أم عسكريين، في القبيات، كما قال لنا المؤرخ الدكتور فرج زخور³³.

هذه الأعمال أو الخدمات والتي ذكرنا أمثلة قليلة جداً عنها، كان الشيخ أنكونيوس يعتبرها، هي وغيرها، "واجباته" تجاه أهله وإخوانه الأهالي في القبيات وعكار، وهي كانت تعكس القيم والتقاليد اللبنانية والعربية، التي تربي على احترامها والالتزام بها.

³¹ - مقابلة مع الشخص نفسه.

³² - مقابلات مع السيد يوسف الزريبي ومع الشيخ محمود الشيخ بتاريخ 17 آب 1999.

³³ - مقابلة مع د. فرج زخور بتاريخ 17 أيلول 1999.

وكانت صداقاته ومعرفته بالعديد من المسؤولين والموظفين، على المستويات كافة، تتيح له أن يحقق رغبته في تقديم المساعدة للناس. ومعرفته وصداقاته كانت تشمل الموظفين، وبعضهم عملوا في القبيات، مروراً ببعض المدراء العامين وطبعاً نواب ووزراء في محافظة الشمال. من الأمثلة المهمة نذكر اتصال الشيخ انطونيوس في العام 1948 بمدير عام وزارة التربية الوطنية السابق المغفور له الأستاذ جورج حيمري، الذي ربطته به علاقة احترام وتقدير، من أجل تعيين الأستاذ انطونيوس سلوم نجل صديقه السيد يوسف مخول سركيس مدرساً في مدرسة عكار العتيقة. وبتاريخ 10 أيار 1948 أصدر الأستاذ حيمري قراراً بتعيينه في المدرسة المذكورة.³⁴

ولم يكن يتردد هو وبقية زعماء القبيات في الاتصال برئاسة الجمهورية عندما كانت مصالح وظروف القبيات تستدعي ذلك. وهذا ما حدث فعلاً من خلال زيارة الرئيس فؤاد شهاب قام بها وفد مؤلف من السادة: الشيخ ميشال ضاهر، الشيخ انطونيوس، الشيخ قيصر قسطون، رئيس البلدية الأسبق، الشيخ فريد عبود، مختار حي الغربية السيد طنسه المطران ومدير مدرسة مرتمرة الأسبق الأستاذ جيرائيل دميان، كما تظهر الصورة المنشورة.

لم يكن يكثر لمال أو رفاه، بل على العكس من ذلك اضطر لبيع قسم كبير من أملاكه في القبيات (مثلاً أرض القجية في الضهر، ودوارة الأعرج قرب عين الست – غوايا، والكرم في مرتفعات مرتمرة – عيديمون.. وفي كرم شباط)، من أجل الاستمرار في تأمين الخدمات للناس، ومتطلبات العمل السياسي. إن العديد من أبناء مدينته يعرفون ذلك، وحتى الذين هم خارجها. فصديقه طلعت بك المحمد، ابن عم الوزير والنائب السابق بشير بك العثمان، أكد خلال حديثه عن الشيخ انطونيوس انه "باع أملاكه في كرم شباط لخدمة الناس"³⁵.

تمتع الشيخ انطونيوس بمصداقية في القول والفعل، في علاقاته مع الزعماء والأهالي. وكان يهتم بالعلم والمتعلمين ويتودد إليهم، على أساس احترامه، طبعاً بالإضافة لشخصهم، لعلمهم. وكان يردد أمامنا أنه يسبق المتعلمين في إلقاء التحية عليهم، قبل أن يلقوها هم عليه. وكان تصرفه هذا من جملة الأسباب التي حملت الكثير من أصحاب الشهادات، على مبادلتها الاحترام والود. والمثل الذي ساقه الدكتور فؤاد سلوم في شهادته³⁶ عن موقف مدير ثانوية القبيات السابق ورئيس دائرة المعادلات في وزارة الثقافة والتعليم العالي الأستاذ نديم جبور له أهمية خاصة، ويحل محل أمثلة أخرى.

وبالرغم من العلاقات الطيبة، لا بل المتينة، التي كانت تربطه بمعظم زعماء عكار والشمال، لم يكن يوافق، إلا مضطراً، على تدخل الغير في الشؤون الداخلية للقبيات. وقد اتخذ أكثر من مرة مواقف عملية واضحة وضعته في مواجهة بعض السياسيين.

وفي العام 1934 تشاور هو وشقيقه الشيخ سليم ومؤيديهما، واتفقوا على ترشيح شقيقه لانتخاب رئاسة المجلس البلدي في القبيات، بالتعاون مع بقية المرشحين. وقد انتصروا هم وحلفائهم في تلك المعركة. ونظراً

³⁴ – راجع: الوثيقة رقم 5.

³⁵ – مقابلة مع طلعت بك المحمد في منزله في طرابلس بحضور نجله حيدر بك، بتاريخ 21 تشرين الثاني 1998.

³⁶ – شهادة الدكتور فؤاد سلوم.

للعلاقات الطيبة التي كانت تربطهم بخصومهم الشيخين جواد عبدو وفريد عبدو ومؤيديهما، قام هؤلاء بزيارتهم للتهنئة، كما روى لنا الشيخ انطونيوس أكثر من مرة وكما كرّرها لنا ابن شقيقه الشيخ جودت. وفي فترة لاحقة قام هو وشقيقه بزيارة آل عبدو في مرتمرة لتهنئتهم بالفوز في انتخابات البلدية³⁷.

وتشبّث الشيخ انطونيوس بكرامته وعزة نفسه واستنقامته، بالرغم من صعوبة الظروف التي مر بها. وكان يعتر بالموافق التي اتخذها، والتي تعكس حرصه الكبير على كرامته. نذكر هنا، على سبيل المثال، ما حصل بينه وبين رجل دين كان مسؤولاً في إحدى الرهينات، عندما كان أبناؤه يدرسون في المدرسة التي تشرف عليها هذه الرهينة. وكان رجل الدين هذا فظ الطباع. وذات يوم التقى الشيخ انطونيوس صدفة مع هذا الرجل أمام المدرسة، فقال له إنه يود التحدث إليه. فأجاب رجل الدين بشكل جاف، فانتفض الشيخ أنطونيوس، وقال له أمام الحضور: "بئس الظروف التي تحملني على الحديث مع شخص مثلك ولولا هذه الظروف، لو قدمت لي الملايين، لما كنت قد أقيت التحية "على شخص مثلك".

هذا التصرف اللائق، وبالتالي تعاون زعماء القبيات — رغم خصومتهم السياسية فيما بينهم — حملنا في أيار 1998، وبمناسبة انتخابات المجالس البلدية والاختيارية، على الإدلاء بكلمة نشرتها صحيفتا "النهار"³⁸ و"الديار"³⁹، "شدت فيها على أن أهلنا في مدينة القبيات سينهلون من تراث الآباء والأجداد، وذلك بتشبيهم بروح الألفة والتسامح ووحدة المجتمع، خصوصاً في مثل هذه المناسبات، كما تمّ فعلاً في فترة الثلاثينات والأربعينات، ومن خلال تنافسهم الايجابي البناء، من أجل الخدمة العامة".

كان الشيخ انطونيوس في بداية أو منتصف العشرينات من عمره، عندما أصبح مختار أول للقبيات، بعد والده إغناطيوس أفندي. وإحدى الوثائق المتوافرة بين أيدينا والمؤرخة في 21 أيلول 1926 تحملنا على قول ذلك⁴⁰. ولاحقاً في العام 1928، وتحديدًا بتاريخ 13 كانون الثاني، أصدرت الحكومة قانوناً دعي "قانون المختارين"، كما تعلمنا رسالة محافظ الشمال آنذاك، الموجهة إلى الشيخ انطونيوس بتاريخ 2 نيسان 1928⁴¹. ونص هذا القانون على انتخاب المختارين والمجالس البلدية التي كان يجب أن يكون عدد أعضائها متلائماً مع عدد سكان القرية، من اثنين على الأقل في القرى التي يزيد عدد سكانها عن 50 نسمة، ومن ستة إذا زاد عددهم عن 1500 نسمة. أما البلدات التي يزيد عدد سكانها عن 3000 نسمة، فقد اعتبر كل حي منها بمثابة قرية، تنطبق عليها نفس الشروط المدوّنة أعلاه. ولم يستفد من أحكام هذه الفقرة في عكار، سوى بلدة القبيات، بحيث قسمت إلى خمسة أحياء، لكل منها مختارها ومجلسها الاختياري. وبناء على أحكام هذا القانون، جرت انتخابات صدقت من قبل "لجنة تقييد اللوائح الانتخابية في محافظة طرابلس"⁴²، كما كتب محافظ الشمال آنذاك في رسالته إلى الشيخ انطونيوس بتاريخ 2 نيسان 1928، يعلمه فيها بنتائج الانتخابات⁴³ وحسب سجل

³⁷ — مقابلة مع الشيخ جودت ضاهر بتاريخ 12 أيلول 1998.

³⁸ — كلمة الدكتور سليم ضاهر المنشورة في النهار ص 3 في 15 أيار 1998.

³⁹ — كلمة الدكتور سليم ضاهر المنشورة في الديار ص 7 في 17 أيار 1998.

⁴⁰ — راجع: الوثيقة رقم 6.

⁴¹ — راجع: الوثيقة رقم 7.

⁴² — د. فرج زخور "تاريخ عكار" ص. 126.

⁴³ — راجع: الوثيقة رقم 7.

مقررات المجلس البلدي في القبيات 1934 – 1938، فإن المخاتير في أحياء القبيات الخمسة في العام 1934، كانوا كما يلي:

– حي الأنواق: المختار الشيخ انطونيوس ضاهر.

ويشير الدكتور فرج زخور في هذا الإطار إلى مكانة المختار في المجتمع فيقول أنه "للمختار مقام مرموق بين قومه، نظراً لما أناط به القانون من مهام ومشاكل هامة، وثيقة الصلة بالحياة اليومية للأهالي".⁴⁴

موقع الشيخ انطونيوس كمختار للقبيات – الذوق كان قد أضاف إلى مسؤولياته كزعيم في القبيات وعمار، ومسؤوليات أخرى محددة منها: مساعدة الأهالي على إنجاز معاملاتهم بالسرعة الممكنة، وتقديم المعلومات الحقيقية للجنة المساحة لتمكين من تحديد أسماء مالكي الأراضي وتثبيتها لأصحابها الحقيقيين، دون أي استغلال لمركزه. وكان مسؤولي هذه اللجنة يقيمون في منزله.

وقد فاز معه أعضاء المجلس الاختياري. وهم، كما وردوا في رسالة المحافظ السادة إبراهيم سركيس قسطون وإبراهيم يوسف الياس وإبراهيم خطار وطونس عبود⁴⁵.

أول زيارة لرئيس جمهورية إلى القبيات

وعندما قرّر رئيس الجمهورية اللبنانية الأسبق الشيخ بشارة الخوري زيارة حلبا والقبيات في 8 تشرين الأول 1945، اختار الشيخ انطونيوس أن يتم الاستقبال في باحة منزل ابن عمه الشيخ انطونيوس مخول ضاهر. وهذا ما حدث بالفعل، مع أن مرجعاً دينياً شمالياً كان له رأي آخر. وساهم الشيخ انطونيوس في تحضير الاستقبال اللائق بمقام رئيس الجمهورية. ولدى وصول الرئيس الخوري إلى القبيات كان في مقدمة المستقبليين. وشجع مؤيديه، والأهالي بشكل عام، على تكريم صديقه الوزير حميد بك فرنجية، الذي كان يرافق الرئيس الخوري في تلك الزيارة. في مذكراته "حقائق لبنانية" كتب الرئيس الأسبق عن زيارته إلى القبيات قائلاً: "ثم مضينا إلى القبيات وقد زحفت الجهات المجاورة كلها للاستقبال، والفرح بادٍ على الوجوه. وأكد لي كبار المستقبليين أنه لم يسبق لهذه المناطق أن زارها الحكام. وتركنا القبيات عند الغروب إلى بيروت"⁴⁶.

أول زيارة لرئيس وزراء سابق إلى القبيات

في بداية العام 1947 دعا صديق الشيخ انطونيوس الزعيم العكاري محمود بك الخالد المرعي رئيس الوزراء السابق الزعيم عبد الحميد أفندي كرامي، على الغداء إلى مائنته، في مسقط رأسه بلدة البيرة، جارة القبيات. وكان محمود بك قد وجه الدعوة لزعماء وأعيان عكار، للمشاركة في المأدبة. وكان من الطبيعي أن يكون الشيخ انطونيوس مدعواً في بيت صديقه الكبير. وفي اليوم المحدد أوعز لسائق البوسطة (كانت تلك وسيلة النقل المتوافرة) آنذاك السيد يوسف إبراهيم (أبو إبراهيم) من بلدة الحميرة، أن يأتي لعنده حوالى الظهر، ليقله إلى البيرة. وهكذا صار. فركب الشيخ انطونيوس البوسطة، وكان لوحده، قرب أبو إبراهيم، وتوجّه معاً إلى منزل صديقه، وكان محاذياً للطريق. وما أن رآه محمود بك، وكان المنزل يعج بالضيوف

⁴⁴ – د. فرج زخور، "تاريخ عكار"، ص. 127.

⁴⁵ – راجع: الوثيقة رقم 7.

⁴⁶ – الرئيس بشارة الخوري، "حقائق لبنانية".

والمدعوين، حتى نظر إلى عبد الحميد أفندي كرامي وقال له بصوت عالٍ: "يا أبو رشيد، انظر، أن السلطان عبد الحميد كان يأخذ القطار لوحده"، والشيخ أنطونيوس يأخذ البوسطة لوحده، وتقدم لاستقبال الشيخ أنطونيوس على مدخل المنزل وسار معه حتى صافح عبد الحميد أفندي، وسائر المدعوين. وبعد قليل فأتى الشيخ أنطونيوس صديقه محمود بك برغبته بدعوة دولة الرئيس كرامي إلى العشاء عنده في القبيات. فسر محمود بك بهذه الفكرة، وقال للشيخ أنطونيوس أن يدعوهم. ففعل، فرد الرئيس كرامي شاكرًا دعوته، ومعتذرًا عن عدم تمكنه من تلبيةها، لأنه مرتبط بموعد في طرابلس ذلك المساء فتوجه الزعيم محمود بك الخالد إلى الرئيس كرامي قائلاً: "يا أبو رشيد نتمنى ألا نخجل صديقنا الشيخ أنطونيوس". فكان جواب الرئيس كرامي الفوري: "إكراماً لك وله فإننا نود رد الزيارة له الآن، مع أنه لم تمضِ على وصوله سوى دقائق، وسنعود بعدها لتناول الغداء"، فعبر الشيخ أنطونيوس عن ترحيبه الكبير بالرئيس كرامي، واستأذن، الجميع ليذهب ويقوم بما يمكن عمله خلال الوقت القليل المتبقي، قبل وصول أول رئيس وزراء سابق إلى القبيات. وبسرعة لافتة اتصل الشيخ أنطونيوس بالكهنة والأهالي، ودعاهم للمشاركة في استقبال الضيف الكبير وصحبه. كما أوعز بدق أجراس الكنائس احتفاءً بهم. ولما وصل الرئيس كرامي أمام المنزل، وسط قرع الأجراس، تقدم الشيخ أنطونيوس جموع المستقبلين، والكهنة في الصف الأمامي، ورحب الجميع به ودخلوا معاً إلى قاعة الاستقبال.

وهناك عاد الشيخ أنطونيوس وجدد ترحيبه بالزعيم الكبير وتأييده لمواقفه. وبعد تناول الضيافة، عادوا جميعاً إلى البيرة. وعلى مرأى وسمع المدعوين عبر الرئيس كرامي عن سروره بتلك الزيارة قائلاً لمحمود بك "إني أهنئك على هذا الصديق".

العلاقات مع البلدات المجاورة

نظراً لموقعه وعلاقاته الوثيقة مع زعماء البلدات المجاورة، كلف الشيخ أنطونيوس أكثر من مرة من قبل كبار المسؤولين في الدولة بالمشاركة في حل مشاكل عالقة بين القبيات وجيرانها، أو في إعطاء رأيه في قضايا تهم قضاء عكار ككل..

على سبيل المثال نذكر أنه في العام 1956، وبناء على اقتراح محافظة لبنان الشمالي، صدر مرسوم جمهوري رقم 1275 موقع من رئيس الجمهورية كميل شمعون، ومن رئيس مجلس الوزراء رشيد كرامي، كلف بموجبيه هو والشيخ يوسف نفاع، مختار عندقت، القيام بمعاملات معرفة الحقوق المكتسبة على مياه ينابيع عودين (قضاء عكار) ونبع الجوز (في القبيات/عكار)... "كما نصّ المرسوم⁴⁷.

وفي مرحلة لاحقة، أي في العام 1965، كلفته قائممقامية عكار أن يكون عضو لجنة اختيار الشعار الخاص بقضاء عكار⁴⁸.

عن هذين المثليين لم يتح لنا الحصول على معلومات وافية تسمح لنا. بالحديث عنهما أكثر مما كتبناه.

⁴⁷ — راجع: الوثيقة رقم 8.

⁴⁸ — راجع: الوثيقة رقم 9.

ومن ناحية أخرى فإن مسؤوليات موقعه كزعيم في القببات كانت تفرض عليه أعباءً عدة،... وحتى الدخول إلى السجن. ففي الأربعينات على الأرجح، قطع أحدهم شريط الهاتف في القببات. فتحركت أجهزة الدولة المختصة لمعرفة الفاعل، ولكنها لم تفلح. وبعد فترة قرّر القاضي المسؤول في طرابلس في تلك الفترة توقيف زعماء القببات، من أجل المساعدة في معرفة هوية الفاعل! وإنفاذاً لذلك القرار أوقف الشبخان انطونيوس ضاهر وجواد عبود، وبعض الأهالي في السجن عدة أيام. فوقف القببات كلها موقف الراض لهذا القرار. وشاعت الصدف أن يكون الشيخ سليم ضاهر خارج القببات، فلم تستطع الأجهزة الأمنية إلقاء القبض عليه. ولذلك جند كل صداقاته وعلاقاته من أجل إطلاق الموقوفين، وخاصة شقيقه الشيخ انطونيوس. ولهذه الغاية زار كل من البطيريك الماروني والزعيم حميد فرنجية. وأثناء زيارته لهذا الخير تقدّم الشيخ سليم منه وقبل الجزء الأعلى من ربطة عنقه وقال له "صديقك الشيخ انطونيوس في السجن". هذه الاتصالات، وغيرها التي بذلها الشيخ فريد عبود وأقربائه، بالإضافة إلى موقف القببات الراض كليا لهذا القرار المستغرب، حمل السلطة المختصة على اتخاذ قرار إخلاء سبيلهم.

لعب الشيخ انطونيوس دوراً سياسياً بارزاً في القببات وعمار. وقد أفردنا في هذا البحث فصلاً خاصاً تناولنا فيه عمله السياسي. وما نود الإشارة إليه هنا هو انه وشقيقه الشيخ سليم، كانا يدعمان مؤيديهما من المرشحين لمركز المختار في أحياء القببات، ولمركز عضوية المجلس البلدي، وقد فازوا هم وحلفائهم في أكثر من معركة. ونذكر على سبيل المثال، ومن فترة الستينات، أنه عندما اجتمعت عائلة آل ضاهر في منزل قريبهم السيد يوسف هاشم ضاهر، قبيل انتخابات المجلس البلدي في العام 1966، للاتفاق على مرشحهم لرئاسة البلدية، تولى الشيخ انطونيوس ترشيح ابن عمه الشيخ طنوس إبراهيم ضاهر. فتمت الموافقة على ترشيحه. وفي أثناء تلك الانتخابات لعب الشيخ أنطونيوس دوراً مهماً في تأمين نجاح لائحة حلفائه، وانتخب الشيخ طنوس رئيساً لبلدية القببات في ذلك العام، وبقي يمارس مهامه حتى العام 1971.

وبحكم موقع الشيخ انطونيوس السياسي والاجتماعي، كانت بعض الاجتماعات الهامة تعقد في منزله. نذكر منها الاجتماعات التي عقدت خلال ثورة 1958، وخلال العام 1975. وسوف نتكلم عن هذين الاجتماعين في إطار تناولنا لمواقفه خلال هاتين الفترتين.

وكان الشيخ انطونيوس يحرص كثيراً على استمرار وتنمية العلاقات الجيدة مع البلدات المجاورة للقببات، أي عندقت وعيدمون وشدرا والمشتى والبيرة وعمار العتيقة، بالإضافة إلى علاقته الجيدة مع آل جعفر. وكان مهتماً بشكل بارز بالعلاقات مع الجارة الأقرب، عندقت، وسهره على المساهمة في تنميتها وإبعاد ما يعكر صفوها. وآمن الشيخ انطونيوس أن العلاقة بين البلديتين عضوية ومصيرية في آن، ولا يمكن أن تنفصم عراها. ولذلك كان حريصاً على التشاور المستمر مع مشايخ عندقت، وعلى دعوتهم لحضور الاجتماعات العامة، التي كانت تعقد أما في منزله، وأما في دير الآباء الكرمليين، أو في أي مكان آخر.

وقد ربطته علاقة صداقة مع مشايخها وأعيانها، ومع راهبات القلبيين الأقدسيتين فيها. من مشايخ عندقت نذكر المشايخ هاني مسعود ويوسف مسعود ووحيد نصار ويوسف نفاع ورشدي فخر وفخر فخر وعمار جوزف البيطار وأمين عوض وجوزف شاهين ويوسف البيطار. وكان الشيخ انطونيوس يعتز بصداقة الشيخ يوسف مسعود (أبو عادل) منذ أيام شبابه. والحرص على استمرار علاقات الأخوة بين البلديتين عبّر عنه زعماء البلديتين في أكثر من مناسبة. فمن رسالة موقّعة من مشايخ عندقت حفظها الشيخ انطونيوس، نعلم أن

مشايخ القبيات وجّهوا كتاباً بتاريخ 26 أيلول 1958 إلى مشايخ عندقت يعلموهم فيها بحادث حصل مساء اليوم السابق. هذه الرسالة وقّعها المشايخ يوسف نفاع ورشدي فخر وهاني مسعود، وهناك توقيع رابع لم نعرف من هو صاحبه، وفيها يؤكّدون أسفهم لوقوع الحادث واستعدادهم لتأنيب الفاعل متى عرفوه، وهو "ما تقتضيه الجيرة" حسب ما نصت الرسالة. كما شددوا على أنه "مهما حاول المغرضون التفريق بيننا لن ندع لهم سبيلاً إلى ذلك"⁴⁹.

أما من حيث العلاقة مع راهبات القلبيين الأقدسين، فقد كان الشيخ انطونيوس وعائلته يكنون مودّة واحتراماً خاصين للأخت مونيكا باسيل رئيسة المدرسة سابقاً، وشقيقتها الراحلة الأخت جان موريس. وكان يعرب في أكثر من مناسبة عن تقديره لهن، لتشجيعهن ابنتيه نهاد وماري تريز على الدراسة في مدرسة راهبات القلبيين الأقدسين في الميناء - طرابلس. والحديث عن "راهبات عندقت" يشدنا إلى الكلام عن موضوع علاقته برجال الدين المسيحيين والعلماء المسلمين.

علاقة الشيخ انطونيوس مع رجال الدين والعلماء.

فقد كان يحيط هؤلاء باحترام ومودة كبيرين. وهذا الشعور تجاههم نشأ وتنامى، في رأينا، في أحضان عائلته، حيث تربي تربية مسيحية حقّة. وكان يواظب على تأدية واجباته الدينية، فيسمع القداس كل يوم أحد. وكان هو وزوجته يشجعان الأولاد على الصلاة والالتزام بتعاليم الإنجيل. وفي أحيان كثيرة كان يرتل أمامهم ترنيلة "يا مريم البكر.." ومن ثمار هذه التربية المسيحية الحقّة، نظرته إلى الآخرين نظرة الاحترام والود..

في أقدم وثيقة متوافرة بين أيدينا حول هذا الموضوع، نرى أن اغناطيوس أفندي، والد الشيخ انطونيوس، وأشقاؤه، أبناء طنوس ضاهر، وجّهوا رسالة للبطريرك يوحنا الحاج، (في 25 آذار 1895 أي قبل ولادة الشيخ انطونيوس بأربع سنوات) ينعون فيها والذتهم (..) ولما جلس على كرسي بطريركية إنطاكية وسائر المشرق للموارنة للبطريرك الكبير الباس الحويك في العام 1899 (العام نفسه الذي ولد فيه الشيخ انطونيوس) أقام اغناطيوس أفندي علاقة بنوية جيدة معه. وكان يعتز بتعليق صورة البطريرك الحويك على حائط قاعة الاستقبال في منزله. وحافظ الشيخ انطونيوس على هذه "الوديعة". وبقيت هذه الصورة تزين إحدى جدران صالون المنزل، وهي ولا تزال معنا حتى اليوم. وفي العام 1908 عند شغور مركز مطران طرابلس، بوفاة راعي الأبرشية المطران اسطفان عواد، وبمناسبة تكليف البطريرك الحويك المونسنيور اسطفان الشمالي والخوري الشلفون، بالإشراف على انتخاب خلف له، وجّه اغناطيوس أفندي وأشقاؤه وأبناء عمه رسالة للبطريرك الحويك، بتاريخ 27 أيار من تلك السنة، يعلمونه فيها أنهم كانوا مع تسليم الإدارة وتفويض ذلك لحكمتهم.. وأنهم قرّروا ترشيح بعض الآباء وفي مقدمتهم المونسنيور انطون عريضة. وهذا الأخير انتخب مطراناً على الأبرشية، فرقاه البطريرك الحويك إلى درجة الأسقفية وسامه في بركي يوم عيد الجسد الإلهي في 28 حزيران 1908، وبقي رئيساً لأبرشية طرابلس حتى العام 1932 حيث انتخب بطريركاً. وفي هذا الموقع توقّفت علاقات اغناطيوس أفندي، ونجليه سليم وانطونيوس مع راعي الأبرشية المطران عريضة، فكانوا يستشيرونه في القضايا الهامة. وخلال زيارته الرعائية، كان يزورهم في منزلهم حيث يحيطونه بكل التقدير والاحترام. وكثيراً ما كانوا يرافقونه في زيارته الرعائية للموارنة في البلدات والقرى الأخرى،

⁴⁹ - راجع: الوثيقة رقم 10.

ولبعض زعماء المسلمين في عكار. وهذا ما أعلمنا به السادة يوسف سركييس الزريبي من القبيات ت مرتمورة وعلي عبدو آغا الأسعد والحاج معين الأسعد من عكار العتيقة. وروى لنا الحاج معين، بحضور ابن عمه علي آغا، إنه أثناء إحدى زيارات المطران عريضة لأعمامه عبدو آغا "وكنجو آغا، زعيمى عكار العتيقة توفي والده أسعد آغا. فطلب شقيقه عبدو من زوجته ألا تخبر أحداً بالوفاة، طالما بقي صديقهم المطران في ضيافتهم. وهكذا صار. فودعوا سيادته والشيخ انطونيوس والوفد المرافق، بكل التقدير والاحترام. وما أن وصل هؤلاء إلى القبيات، حتى وصلهم نعي أسعد آغا، فعادوا فوراً إلى عكار العتيقة، وشاركوا أصدقائهم في مصابهم، وقدموا لهم التعازي بفقيدهم⁵⁰. وبعد انتخابه بطريركاً للموارنة تابع الشيخ انطونيوس وشقيقه، التعبير عن تعلقهما ومحبتهما لرئيس كنيستهما.

هذا العمل الأخوي الجميل يحملنا على تذكر مبادرة أخرى كتب لنا عنها الأب يوحنا حبيب البيسري، كاهن رعية سيدة الغسالة في القبيات – الذوق، بتاريخ 1998/8/12، قائلاً "في شهر تموز سنة 1944 قرّرت رعية الذوق في القبيات بناء كبل (كنيسة) صغيرة على مدخل مجال الكنيسة الحاضرة قبل أن تبنى. والكلية هذه تحتاج إلى كمية من الخشب المبروم، وهذه لا يتوافر منها إلا في عكار العتيقة مركز الزعيمين عبدو آغا وكنجو آغا. للتوصل إلى المطلوب راجعت اللجنة الشيخ انطونيوس اغناطيوس الضاهر لأنه الصديق الحميم للزعيمين المذكورين. وعلى الفور قام الشيخ انطونيوس باتصالاته، فسُح بما لزم من الأخشاب، ونقلت إلى الكنيسة وتم المشروع"⁵¹.

وفي القضايا الشائكة والحساسة التي كانت تخصصها ومؤيديهما، لم يكونا يتردداً في طلب المساعدة من سيد بكركي، كما رأينا مثلاً عندما زار الشيخ سليم البطريرك عريضة طالباً إليه المساعدة في إطلاق شقيقه انطونيوس من السجن، يوم قطع شريط الهاتف في القبيات. وفي إحدى المرات وصل الشقيقان متأخرين إلى بكركي، وقد حلّ المساء. فقرعا الباب الخارجي، ولكن لم يفتح لهم بسرعة، فتابعا حتى فتح لهما. وإذا بصوت البطريرك عريضة يسأل من الطبقة الثانية، عن الزائرين، فلما أطلعه القيمون على البطريركية، أعطى تعليماته فوراً بدعوة الشيخين إلى المائدة، وتجهيز غرف النوم لهما.

وبعد العشاء استقبلهما، وبعد أن اطلع منهما على ما يريدانه، وعدهما بإجراء اتصالاته في الصباح. وهكذا صار. وحصلنا على ما كانا يطالبان به.

أما علاقة الشيخ انطونيوس بالمطران انطون عبد، الذي خلف المطران عريضة في أبرشية طرابلس، فكانت أيضاً جيدة ومنتينة. إذ كان يحرص على دعوته إلى منزله، خلال الزيارات الرعائية ويحيطه بالاحترام والتقدير، وكان يواكبه في زيارته للبلدات المجاورة، وخاصة إلى عكار العتيقة، حيث كان يلتقي أبناء بلدة المراحات الموارنة، في منزل عبدو آغا الأسعد، ويقدم لهم القداس الإلهي في قاعة الاستقبال، كما أكد نجله علي عبدو الأسعد مؤخراً⁵² كما كان الشيخ انطونيوس حريصاً على استقبال المطران عبد شخصياً في المناسبات العامة في القبيات، إذ يتقدم من سيارته ويفتح له الباب ويلقي التحية عليه، ثم يسيران معاً، والشيخ

⁵⁰ — مقابلة مع السيد علي عبدو آغا الأسعد والحاج معين آغا الأسعد، في منزل الأول في عكار العتيقة بتاريخ 14 أيلول 1999.

⁵¹ — راجع: الوثيقة رقم 11.

⁵² — مقابلة مع السيد علي عبدو آغا الأسعد.

انطونيوس حاملاً الشمسية فوق رأسيهما، اتقاءً من الشمس أو المطر. وفي فترة رئاسته لابريشية طرابلس كان يعاون المطران عبد عدة كهنة أفضل وغيورين على خير أبناء الكنيسة، تعرّف عليهم الشيخ انطونيوس وأصبح على علاقة صداقة ومودة معهم. نذكر منها بشكل خاص أمين سر البطريركية المارونية الحالي الأب ميشال عويط، الذي نشر عدة كتب عن تاريخ الموارنة، وقضايا دينية هامة.

كما نذكر منهم راعي الأبرشية السابق المطران جبرائيل طوبيا رحمات الله عليه، الذي عرف الشيخ انطونيوس. عن قرب. لذلك استهل كلمة رثائه لنجله الشاب منير الذي توفي في 19 أيار 1996 في حادث سيارة مروع، في قداس الأربعين، قائلاً بأسلوبه البسيط والعفوي والصادق: "الفقيد الغالي هو أبن الشيخ انطونيوس ومن منا لا يعرف الشيخ انطونيوس؟".

وعديدون هم الآباء الموارنة واللاتين الذين بادلهم الشيخ انطونيوس الود والاحترام. وما نعلمه نحن هو علاقة الصداقة القوية التي تنامت بينه وبين الآباء يوسف حنا من القبيات – الضهر، وبولس شحادة من بقرزلا (الذي هاجر إلى إستراليا) في الخمسينات على ما نعتقد، والراهبين الكرمليين غسطين الشدياق (القبيات). وجان طنّب (دير القمر) اللذين أقاما في دير مار ضومط للآباء الكرمليين في القبيات وفي أديرة أخرى. وكان حريصاً على زيارتهما في الدير أثناء فترة وجودهما فيه، أو لدى زيارتهما للقبيات، بعد انتقالهم إلى أماكن أخرى. وحفظ الشيخ أنطونيوس في ملفاته الصورة التي وزعت في صيف العام 1963 في دير مار ضومط، بمناسبة اليوبيل الفضي لكهنوت الأب غسطين، وكثيراً ما استشاره حول قضايا عامة وخاصة، نظراً لتقديره الكبير لراهب الله وصفاته العديدة وكفاءته.

وفي مناسبات عديدة أعرب عن تقديره لرعاية الأب طنّب لأبنائه الثلاثة، عندما كان رئيساً لمدرسة مار الياس للآباء الكرمليين في طرابلس، وكانوا هم من تلاميذها.

لم تقتصر علاقات الشيخ انطونيوس مع القيادات الدينية على الطائفة المارونية، بل تعدتها طبعاً إلى مطارنة وكهنة، الروم الأرثوذكس في عكار، الروم الكاثوليك، وأئمة المساجد المشايخ المسلمين في المنطقة، وخاصة في عكار العتيقة. فقد ربطت الشيخ أنطونيوس علاقات مودة واحترام متبادل مع مطران عكار السابق للروم الأرثوذكس ابيفانيوس زائد، ومطران طرابلس للروم الكاثوليك اغسطينوس فرح، والأب نقولا خوري كاهن بلدة شدرا. ولا نزال نذكر الكلمات الطيبة التي قالها عنه سيادة المطران زائد عندما زارنا في القبيات، يرافقه الأب نايف اسطفان أمين سر المطرانية، صباح يوم الثلاثاء في 7 كانون الأول 1982، للتعزية بوفاة الشيخ أنطونيوس، في اليوم الثاني بعد دفنه. وكان حضوره معزياً لنا وللقادري الوالد، عندما رأينا أن هذا المطران الجليل الطاعن في السن (كان في الثانية والتسعين، كما علمنا من المؤرخ الأب نايف) كان حريصاً على المشاركة في التعزية بمن كان يقدره في حياته. هذا المطران الشيخ انتقل إلى رحمة الله بعد مرور حوالي ثلاثة أسابيع على وفاة الشيخ أنطونيوس.

وقد شارك الأب نقولا الخوري أو خوري، شدرا كما كان يحلو للكثيرين أن يسموه، في عدة مناسبات وقضايا عامة، هو والشيخ أنطونيوس، نذكر منها على سبيل المثال اجتماع 11 تشرين 1975 الذي عقد في منزل هذا الأخير، والذي سنتناوله في مكان آخر.

وما نعلمه عن العلاقة التي ربطت الشيخ انطونيوس بالمطران أوغسطينوس فرح هو أنها كانت علاقة ود وتقدير متبادل. وقد زاره الشيخ أكثر من مرة في دار المطرانية في شارع الفريز في طرابلس. وفي

عصر ذات يوم، زار سيادته، يرافقه الأستاذ غابي زهر وعقيلته، الشيخ أنطونيوس في منزله، حيث استقبله هو وعائلته وأصدقاء له، بما يليق بمكانة هذا الأسقف الفاضل وبطائفته الكريمة. وقد توفي سيادته في مدينة رحلة في 31 آذار 1983.

تربى الشيخ أنطونيوس في عائلته، على احترام الدين الإسلامي، ومعتقدات ومشاعر إخوانه المسلمين. وكان حريصاً على أن يروي لنا، ولزواره، أكثر من مرة ما سمعه من أهله عن هذا الموضوع قائلًا، أنه ذات يوم كان محمد رشيد بك الياسين (المرعبي) في ضيافة والده الذي كانت تربطه به صداقة قديمة، وعند الظهر سأل الضيف أغناطيوس أفندي أين يمكنه أن يصلي صلاة الضهر، فتردد هذا الأخير بعض الشيء، فسأله الضيف: أليس لديكم كنيسة؟ فأجاب الضيف: طبعاً. عندها سال محمد رشيد بك: هل بإمكانكم أن تأخذوني إليها، لأودي صلاتي فيها؟ إنها بيت الله. فتجاوب أغناطيوس أفندي مع تمنى صديقه، ورافقه إلى كنيسة دير الآباء الكرمليين، حيث أدى صلاته. وفي اليوم التالي ذهب لعند المطران وأخبره بما حصل، طالباً رأيه. فسأله المطران: وهل بدر منه شيء مسيء، لا سمح الله؟ فلما أجاب أغناطيوس أفندي بالنفي طبعاً، قال له المطران: — "هذا شيء طبيعي. صحيح أن الكنيسة هي للمسيحيين، لكن يمكن لمسلمين أن يصلوا فيها، لأنها بيت الله". هذه الحادثة تذكرنا بما رواه الصحافي الأستاذ بشير العوف في كتابه "التعاون والتعاطف بين المسلمين والمسيحيين" أن البطريرك الماروني بولس المعوشي استضافه في بكركي، يوم كان ملاحقاً لأسباب سياسية، وكان يدعو وهو المسلم للصلاة في كنيسة الصرح البطريركي⁵³.

في أجواء الانفتاح والأخوة التي تربى في ظلها الشيخ أنطونيوس، كان من الطبيعي أن تشمل العلاقة المتينة التي ربطته بزعماء ووجهاء عكار العتيقة، أئمة المساجد المشايخ من آل الزعبي، الذين كان يلتقيهم في منازل أصدقائه من آل الأسعد (عبدو آغا، وكنجو آغا، والحاج هاني، وصبحي آغا رئيس البلدية). ولا يزال أنجاله يذكرون من طفولتهم صورة الشيخين الجليلين عثمان وعبد المجيد: وقد ذكرنا الصديق علي عبديو آغا الأسعد، أنه أثناء فترة التعازي بوفاة شقيقنا المرحوم منير في أيار 1996، زار منزلنا وفد كبير من عكار العتيقة تقدمه الشيخ عبد المجيد الزعبي، إمام مسجد البلدة⁵⁴. ولما لبى سماحة الإمام موسى الصدر في العام 1969 دعوة النادي الثقافي الرياضي في القبيات لإلقاء محاضرة فيها، كان الشيخ أنطونيوس في مقدمة الحضور في قاعة السينما، حيث ألقى سماحته تلك المحاضرة. وبعد انتهاء اللقاء تقدم الشيخ وألقى التحية على الإمام. وكان جد مسرور لاستماعه إلى ما قاله رئيس المجلس الشيعي الأعلى، كما كان سعيداً أن يقدمه للحضور نجله سليم. ومما قاله هذا الأخير في كلمته: "والمنبر اليوم إذ يحن للقاء كبير من كبار، لبي سماحة العلامة النداء، ورنّا ببصره إلى جبل العشرين إلى — علة شباب تفتح على حضارة المادة، فكان البون شاسعاً بينه وبين عالم الروح...".

علاقات الود والاحترام التي كان يكنّها الشيخ أنطونيوس لرجال الدين المسيحيين والعلماء المسلمين، كانت علاقات متبادلة. نذكر على سبيل المثال، ما كتبه الأب الفاضل أوغسطين شدياق في شهادته عنه، قائلاً "تعرفت عليه وقد أصبحت راهباً في دير الآباء الكرمليين — القبيات. كانت العلاقة أكثر من ودية بينه وبين الآباء الذين كانوا بأكثرية من الشبيبة الإيطالية، وأضاف أنه كان "شخصية فذة، شجاعة، مقدامة لا تتراجع

⁵³ — بشير العوف، "التعاون والتعاطف بين المسلمين والمسيحيين"، بيروت 1993.

⁵⁴ — مقابلة مع السيد علي عبديو آغا الأسعد.

أمام الصعوبات والملمات مهما كثرت وتعددت. شخصية تريد ما تفعل وتفعل ما تريد. طلبه يجب أن ينفذ مهما كلف الأمر، وكلمته مسموعة لدى الجميع لدى السلطات والدوائر المختصة. لأنه كان رجلاً مستقيماً وأميناً، يسعى فقط لإعطاء كل صاحب حق حقه... الرجل الكريم، كريم الخلاق، كريم التصرف... من لا يعرفه؟ من لا يذكره؟...⁵⁵.

صداقاته

آمن الشيخ أنطونيوس بالصدقة، وكان يقدّر حق قدرها. وكان يعتز بأصدقائه العديدين في القبيات وعكار، ومعظم مناطق لبنان، وكان يبذل كل الجهود الممكنة ليس فقط للمحافظة عليهم والإخلاص لهم، لا بل ولتنمية تلك الصداقات وكان يسعى دائماً إلى زيادة عدد أصدقائه، الذين كان دقيقاً في اختيارهم. فكان يبادر إلى التعرف إلى أشخاص جدد كلما رأى ذلك مناسباً، ويبادلهم الحديث، ويدعوهم إلى منزله لتكريمهم وتوثيق علاقته معهم.

وهو كان ورث من والده صداقات كان يعتز بها، وتابعها معهم ومع أبنائهم. وقد تولى بدوره تعريف أجداله على أصدقائه، تمهيداً لمد جسور الصداقة مع أبنائهم وكان قد أوصى أولاده بالمحافظة على الصداقة والأصدقاء، لأنهم كثيرين في هذه الحياة. وكم كان يردد أمام أصدقائه، القول المأثور "محبة الآباء تتصل بالبنين" ونحن أولاده نشعر بأهمية الأمانة الغالية التي أودعها الوالد بين أيدينا. ونحن حريصون على بذل المستطاع من أجل المحافظة على أصدقائه وعلى صداقة أبنائهم.

كيف كان يعامل أصدقاءه؟

بالود والمحبة والاحترام المتبادل، فيزورهم في بيوتهم في الأفراح والأفراح، ويحرص على اصطحاب أولاده معه لدى زيارتهم. وكان يطلعهم على بعض همومه ومشاكله، ويسألهم النصح. وقد ثابر على القيام بزيارة أصدقائه حتى بعد أن تقدم بالسن. وكان لا يرى مانعاً في سؤال أي شخص يعتبر أنه من الممكن أن يقدم معلومات أو مساعدة حول موضوع يثير اهتمامه. ولم يكن يتردد في استشارة بعض أصدقائه حول قضايا عائلته الخاصة. خاصة صديقيه الكبيرين ماجد بك القدور والدكتور توفيق فرح، الذي سينتخب فيما بعد نقيباً للأطباء في لبنان الشمالي.

كان يفرح برؤية الأصدقاء وتبادل الأحاديث معهم. وأصدقائه في القبيات لا يمكن تعدادهم والحمد لله لكثرتهم. ونأسف أشد الأسف إذا لم نتذكر بعضهم في هذه الدراسة. إنما من الذين ثابروا على زيارته في منزله حتى آخر أيامه، أو اللقاء معه في المقهى في ساحة القبيات بشكل مستمر، نتذكر: الشيخ فريد عبود والسادة مخول سركييس سلوم وشكري فهد وسركيس زهر وجبور جبور وحنا حنا وأبن شقيقه الشيخ جودت ويوسف فارس وديب ديب وديب فارس وراجي جبور ومالك زهر. ومن أصدقائه القدماء الخالص نذكر السادة يوسف سركييس سلوم ورؤوف بطرس ومخول جروج زيتوني ومطانيوس حنا الضاهر ويوسف إبراهيم

⁵⁵ — راجع: شهادة الأب أوغسطين شدياق.

انطون ومخول شاهين حاكمة ويوسف مخول وهبة، الذين كان يضع ثقته الكبيرة بهم، ويستشيرهم في الشؤون السياسية، ويكلفهم القيام بمهام محددة، مع الأصدقاء والخصوم. ومن جيرانه الذين كانوا قريبيين إلى قلبه نذكر السادة نسيم فارس ويوسف جرجس فارس وحبيب موسى ديب وسركيس ضاهر وفريد هوش ضاهر ويوسف مارون وحبيب يوسف نادر ويوسف إبراهيم عبود وزوجته السيدة هند قبل أن يهاجروا إلى البرازيل.

ومن الذين كانوا يزورونه في منزله عند الفجر، حيث كان من عادته أن يستيقظ باكراً جداً، ويغلي القهوة بيده على الفحم، المعاون في الدرك أيوب عازار (أبو ميلاد) من بكاسين، والسيد مالك الخوري (منجز) وكامل يوسف خليل (القببات الذوق).

وفي عكار كان أصدقاؤه من كل الطوائف — مسلمون ومسيحيون، ومن المناطق الجغرافية الأربعة في القضاء، أي من الدير والشفت والجومة والقيطع. ونذكر من هؤلاء الدنادشة وخاصة السادة مصطفى ونسيه أحمد الدندشي (أبو حسام) ومحمد الدندشي (أبو شريف) آغا العلي الدندشي ونجله رشاد والحاج حسين وديبو آغا وسري آغا والمحامي شوقي دندشي. وفي شبرا المختار السابق السيد دعاس خليل، وفي عيديمون آل حداد، وفي منجز. مختارها السابق السيد يوسف سليم إبراهيم، والسيد مالك الخوري وفي البيرة محمود بك الخالد الذي كانت تربطه به علاقة أخوية والذي حفظ صورته التي نشرتها الصحف يوم مقتله في العام 1954، في مفكرة جيبه التي كان يحملها دائماً. وأيضاً عبد الحميد بك العمر وباسين بك الرشيد. وفي دارين سعد الله بك الرشيد وفي العبودية مصطفى بك عبد الرزاق، وفي حلبا أحمد بك اليوسف والأستاذ مسعود بطرس، وفي منيارة الطبيب الدكتور رياض الصراف الذي كان يحضه ثقة كبيرة. في معالجته. وفي ببنين بشير بك وعزمي بك العثمان وطلعت بك محمد، وفي بقرزلا الأستاذ أنيس نعمة والمختار البير ماضي، وفي عيون الغزلان خالد بك عبد القادر. وفي برفايل محمد بك العبود.

وعلى صعيد الشمال كان من بين أصدقائه الدكتور رفيف قليمه من المنية، والسيد محمد نور عدره من طرابلس، والدكتور توفيق فرح من حامات، والأستاذ عمر فلو وأشقائه من القلمون، والشيخ ميشال أبو صعب من مزرعة أبي صعب.

ومن خارج لبنان الشمالي: أصدقاؤه: الشيخ سامي عطا الله (عين داره — الشوف)، والسفير السابق هنري أبو فاضل (عاليه) والسيد حسن الخطيب (شحيم — الشوف) والسيد محسن الأمي (شقرا — الجنوب) والسيد كامل جهجاه (الشويفات) والمعاون أول في الدرك أيوب عازار (أبو ميلاد) من بكاسين والسيد اسعد الكوش (أبو حربيه) من الجنوب والأستاذ أسد السكاف من زحلة، ابن شقيق الشيخ مخايل السكاف الذي كان يسكن في القببات — الذوق، والأستاذ إدوار داغر الذي كان جاره في السكن في الأشرفية، والذي أمضى وإياه حوالي الأثنتا عشر سنة (1970 — 1982) أي حتى وفاة — الشيخ أنطونيوس، تحاب الرجلان وتصادقا، لما لمساه عند بعضهما البعض من قيم وعادات إنسانية متطابقة، في مقدمتها محبة الله والقريب، والاستقامة والنزاهة والاهتمام بشؤون الناس وقضاياهم، أكان ذلك في بلدة المروج مسقط رأس الأستاذ إدوار، أم في القببات أو في العاصمة بيروت. وكثيراً ما كانوا في العاصمة بيروت. وكثيراً ما كانوا يشاركون معاً في اجتماعات عامة تتناول قضايا الناس وهمومهم.

وكانت صداقات الشيخ انطونيوس تشمل كل الفئات الاجتماعية، وبعضهم كانوا إخواناً غير لبنانيين، أمثال التاجر السوري الكبير الحاج رشيد الأتاسي في حمص ونجله الحاج محمد رشيد الأتاسي (أبو رشيد) الذي عرفه منذ العام 1935، كما كتب لنا مشكوراً في شهادته.

وثمة صديق سوري آخر عاش في القبيات حتى وفاته، هو السيد إبراهيم ونوس وكان جديراً بالثقة الكبيرة التي وضعها الشيخ انطونيوس في شخصه، عندما أسكنه في منزله وكلفه السهر على شؤونه، أثناء غيابه في فصل الشتاء في بيروت. كان الشيخ يحرر رسائل له بشكل مستمر.

في نهاية هذا النص ربما كان من المفيد أن نستشهد بقول مختار القبيات – الذوق السيد عيسى الشدياق، أن صداقات الشيخ انطونيوس مع أعيان ووجهاء البلدات المجاورة، قد أثمرت نتائج إيجابية لجميع أبناء المنطقة. وفي شهادة الأستاذ أنطوان ملحم، أمين سر معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف، نقرأ أنه "... كان هناك ثلاثة زعماء أقوياء في منطقة الدريب في عكار. وكان هؤلاء الزعماء يحظون بالتقدير والاحترام. وكانت كلمتهم مسموعة لدى الشعب، كما لدى المراجع الرسمية في الدولة. والزعماء الثلاثة كانوا الشيخ انطونيوس ضاهر ومحمود بك الخالد والشيخ وحيد نصار...⁵⁶ ويذكرنا الدكتور جوزف الفاضي أن الأب الفاضل يوحنا حبيب البيسري كاهن رعية سيدة الغسالة في القبيات، عندما حضر للتعزية مع أنه الأستاذ شارل للتعزية بشقيقنا منير، في منزل ابن عمنا الشيخ جودت ضاهر، قال أمام المعزين "بيت الشيخ انطونيوس في أساس القبيات".

⁵⁶ – راجع: شهادة الأستاذ أنطون ملحم.

الفصل الثالث

عمله السياسي

"على ما أذكر، كلما اجتمعنا نحن النواب الأربعة، الشيخ انطونيوس خامسنا".

النائب السابق عبد الكريم القدور

كزعيم سياسي، مارس الشيخ انطونيوس دوره في الحياة السياسية في عكار، وجزئياً في الشمال، كما مارس العمل الحزبي من خلال انتسابه إلى حزب النداء القومي. وهذا جانب لا يعرفه إلا القليلون. ونحن سنبدأ هذا الفصل بكلام مختصر عن هذا الجانب بالذات، ثم نتناول الجوانب السياسية الأخرى.

عضو حزب النداء القومي

انتسب الشيخ انطونيوس إلى حزب النداء القومي، بعد أن أطلعته على أهدافه، صديقه المناضل العربي المعروف المحامي شوقي الدندشي، أحد مؤسسي وأركان هذا الحزب. وقد تأسس في العام 1944، مباشرة بعد نيل لبنان استقلاله. أما المؤسسون الآخرون فكان من بينهم كاظم الصلح وتقي الدين الصلح رئيس الوزراء اللبناني الأسبق ونصري المعلوف النائب والوزير السابق، والدكتور ادمون رباط والسادة وعادل وعماد الصلح، وقبولي الذوق النائب السابق عن طرابلس، وميشال تادرس وعلي بزي الوزير السابق، ونجيب الصايغ وجوزيف ساسين.

وقد أعلن المؤسسون ولادة الحزب في أول كانون الثاني 1945 قائلين:

"نحن — فريقاً من أبناء هذا الوطن الزاهر — الذين إن رضينا عن أنفسنا بأننا نحمل عقيدة موحدة محبة، لا ننكر واجباً أساسياً كانت تفرضه علينا العقيدة، ولم نكن نهض به، وهو الانتظام، لذلك دعا بعضنا بعضاً فاجتمعنا وتعارفنا وتشاورنا ولفنا بين آرائنا ونظراتنا، فقررنا لنا إرادة عامة بأن ننتظم في حزب لبناني عربي قومي إصلاحى سميناه حزب النداء تيمناً بما في النداء والقومية من معاني الاستنهاض والتقدم والكرامة.

وشدد بيان المؤسسين على التالي:

— ونحن نقرر:

أ- لزوم وجود كيان لبناني موحد مستقل ذي سيادة وطنية قومية في حدوده الحاضرة التي تقررت نهائياً سنة 1943.

ب- لبنان بلد عربي الأرومة والطابع والمقصود.

ج- وأنه ضمن الحقائق القومية النهائية المطلقة وضمن وطنية لبنانية، صحيحة وضمن أساليب حكيمة للتوفيق والتنسيق المستمرين بين ذينك الأمرين المقررين الواقعيين — يباشرها قوميون صادقون، لا يمكن أن يكون بينهما تعارض وتناقض ولا يجوز⁵⁷.

من هم الندائيون؟

يجيب عن هذا السؤال رئيس الحزب سابقاً ورئيس الحكومة اللبنانية الأسبق تقي الدين الصلح بالقول "هم الذين لم يفرق بينهم رنين الأجراس وأذان المؤذنين، لأن النداء القومي يجمعهم في معبد الوطن. ليس الوطن هو الهيكل الذي وسع كل المعابد واحتواها؟ أرضه السمحاء احتضنت الجوامع والكنائس على السواء؟ هم الذين فنوا في قوميتهم فلا يعرفون سواها عصبية ولا غيرها رائداً، وهم الذين ألقى عليهم هذا الوصف، وهذا الخلق عبء مكافحة النزوات الطائفية وإطفاء نارها كلما أشعلها المشعلون"⁵⁸.

كان حزب النداء من الأحزاب "القليلة جداً في لبنان حينها التي عملت على التوفيق بين الصيغة اللبنانية والقومية العربية والوحدة وقد ضم عناصر من مختلف الطوائف اللبنانية، الذين عملوا من أجل الاستقلال والانفتاح على سوريا والقومية العربية"⁵⁹.

ويشرح المفكر السياسي منح الصلح ظروف نشأة الحزب قائلاً: "بعد الاستقلال بدأت تعقد اجتماعات في منزلنا. بعض المجتمعين كانوا يقولون إن الاستقلال بحاجة إلى حركة لحمايته. لقد تمّ الاستقلال القانوني لكن الاستقلال الفعلي كان بحاجة لعمل الكثير لكي يتحقق"⁶⁰.

حزب النداء القومي، الذي تعاقب على رئاسته كل من كاظم الصلح ونجيب الصايغ وأدمون رباط وتقي الدين الصلح، لعب دوراً سياسياً فاعلاً في لبنان، بالرغم من أنه كما وصفه لنا نقيب الصحافة اللبنانية الأسبق الأستاذ زهير عسيران كان "حزب ضباط بلا جنود"⁶¹ لم يكن حزباً شعبياً، إذ كان يضم نخبة من المثقفين والعاملين في المجال السياسي. "وهو مثل عند نشوئه طموحات وطنية وقومية، لبنانية ووحودية. وكان تشكيله غير الطائفي يختلف عن بقية الأحزاب اللبنانية في عهدي الانتداب والاستقلال"⁶².

شارك الحزب في الانتخابات النيابية التي جرت بين الأعوام 1945 و1958 (تاريخ توفقه عن العمل)، وتمكن من إيصال أكثر من مرشح من مرشحيه إلى المجلس النيابي.

وعلى الصعيد العربي دعا الحزب إلى قيام اتحاد الأحزاب العربية. وقد عقدت اجتماعات في بيروت من أجل هذه الغاية. كما دعا إلى إنشاء جامعة شعبية، تتولى تقديم الدعم الشعبي، لجامعة الدول العربية⁶³.

⁵⁷ — راجع: محاضرة الرئيس تقي الدين الصلح "النداء القومي عقيدة ونضال" المنشورة في كتابه "في القومية والحكم"، دار النهار للنشر، بيروت، شباط 1999، ص. 25 — 26.

⁵⁸ — المرجع السابق، ص. 19.

⁵⁹ — إبراهيم حيدر في "النهار"، الملحق، 11 شباط 1995، ص. 14ز

⁶⁰ — مقابلة مع الأستاذ منح الصلح في منزله في بيروت بتاريخ 18 أيار 1995.

⁶¹ — مقابلة مع نقيب الصحافة الأسبق الأستاذ زهير عسيران.

⁶² — راجع: إبراهيم حيدر، المرجع السابق.

⁶³ — مقابلة مع الأستاذ منح الصلح بتاريخ 1998/5/18.

وتوقف الحزب فعلياً عن العمل بعد حصول انقسام بين أركانه حول العلاقة مع الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر، الذي وصل إلى الحكم أثر ثورة تموز 1952. إذ أيده البعض، وعارضه آخرون، لذلك توافقوا على تجميد نشاط الحزب.

تحالفه مع الزعيم عبد الحميد أفندي كرامي في انتخابات 1947

في الفصل السابق ألقينا بعض الضوء على العلاقة التي ربطت الشيخ انطونيوس، بالزعيم الشمالي عبد الحميد أفندي كرامي، هذه العلاقة التي ساهمت في توطيدها جهود صديقهما المشترك الزعيم محمود بك الخالد... فالعلاقة الأخوية التي جمعت بين الشيخ انطونيوس وبين محمود بك، ومعرفة هذا الأخير بمكانة صديقه وقوته السياسية في القبيات وعكار، حملته، كما حملت غيره من أعيان ومواطني عكار، على ترشيحه للمقعد الماروني في هذا القضاء، أمام الناس، وأمام غيره من الزعماء والمرشحين.

وهذا ما عرفه عبد الحميد أفندي والمقربين منه، وما لمسه شخصياً خلال زيارته للشيخ انطونيوس في القبيات، ومدى تأييد الناس الكبير له. كل هذه العوامل قربت ما بين الرجل الثلاثة، فكان أن اتفقوا على خوض المعركة الانتخابية في أيار 1947 في لائحة واحدة، برئاسة عبد الحميد أفندي. اثر ذلك عقدت عدّة اجتماعات بينهم وبين بقية المرشحين في محافظة الشمال الذين كانوا يرغبون في التحالف معهم، في منزل عبد الحميد أفندي أو في أمكنة أخرى. السيد عزمي بك العثمان⁶⁴، شقيق الوزير والنائب السابق بشير بك العثمان، وصاحب الدور الكبير في تأليف اللوائح الانتخابية في قضاء عكار، أكد الاتفاق بين الشيخ انطونيوس، الذي عرفه في العام 1943، وبين عبد الحميد أفندي ومحمود بك الخالد وشقيقه بشير بك على خوض المعركة. كما أكد لنا عبد الله بك الخالد، شقيق محمود بك، والشيخ محمود الشيخ من البيرة⁶⁵.

بعد اتفاق التحالف بقي الشيخ انطونيوس في طرابلس، ليكون على مقربة من الأحداث. وقد اخبر أقرباءه وأصدقاءه بفحوى الاتفاق، وطلب منهم الاتصال بالمؤيدين، وتهيئة الأجواء المناسبة للمعركة. فقام الشيخين هاشم وجودت ظاهر بتأليف عدّة وفود شعبية من القبيات زارته في المقهى البرازيلي في طرابلس حيث كان يستقبل مؤيديه، من كل عكار. ويعقد اجتماعاته في تلك الفترة، كما كانت هذه الوفود تراكبه خلال زيارته لعبد الحميد أفندي⁶⁶.

وفي ذلك العام حصلت مجزرة في طرابلس أثناء استقبال القائد فوزي القاوقجي العائد من القتال ضد الصهاينة في فلسطين، راح ضحيتها عدد من القتلى. بعد المجزرة أعلم عبد الحميد أفندي حلفاءه، بنيتيه في انسحابه من المعركة. "فتضامن زملاؤه معه، وانسحبوا من المعركة. وكنا عرضنا عليه (عبد الحميد أفندي) ألا ينسحب بعد المجزرة، لكنه رفض"⁶⁷، كما قال لنا عزمي بك العثمان. وأضاف "كنا حاولنا جميعاً - الشيخ انطونيوس ونحن وخالد بك عبد القادر وغيرنا، إقناعه (عبد الحميد أفندي) بتأليف اللائحة، فطلب أن نتفق

⁶⁴ - مقابلة مع عزمي بك العثمان في منزله في طرابلس بتاريخ 21 تشرين الثاني 1998.

⁶⁵ - مقابلة مع عبد الله بك الخالد في منزله في البيرة بتاريخ 14 تشرين الثاني 1998، ومع الشيخ محمود الشيخ في منزله في البيرة، بتاريخ 17 آب 1999.

⁶⁶ - مقابلة مع الشيخ هاشم ظاهر في منزله في القبيات بتاريخ 14 تشرين الثاني 1998، ومع الشيخ جودت ظاهر بتاريخ 12 أيلول 1998.

⁶⁷ - مقابلة مع عزمي بك العثمان بتاريخ 21 تشرين الثاني 1998.

على المرشحين الأحد عشر، ويكون هو الثاني عشر. ورغم صعوبة الطلب، عدنا وقلنا له نحن اتفقنا على الأحد عشر مرشحاً دون أن نسميهم له، وطلبنا منه أن يتأسس اللائحة، فخطب فينا، وكان كلامه مؤثراً جداً...⁶⁸ يومها فسر قرار كرامي بالانسحاب بأنه نتيجة للأجواء التي سادت طرابلس بعد المجزرة. لكن السبب الأساسي كان خشيته من موقف السلطة السلبى من ترشيحه، وخاصة موقف رئيس الوزراء آنذاك رياض الصلح.

ماذا حدث بعد انسحاب عبد الحميد أفندي وحلفائه؟

جرت انتخابات أيار الشهيرة في ظل مقاطعة هذا الفريق. إنما في عكار، فقد حضر مؤيدوه إلى صناديق الاقتراع، لمنع التزوير. وعلى سبيل المثال، حضر عزمي بك العثمان إلى صندوق الاقتراع في بلدة القليعات، وكان "من أهم الصناديق"، لأنه كما قال لنا، كان يضم يومها 7 أو 8 قرى، "وبخصوص النتائج"، فقد نال المقاطعون 55% من نسبة المقترعين، بينما نال مرشحو الدولة 45% (بمن فيهم الموظفين وعائلات العسكريين...).

هذه النسبة عدلت فيما بعد في وزارة الداخلية فأصبحت 50% و 50% لخصومهم⁶⁹.

إذاً بالرغم من مقاطعة عبد الحميد وحلفاءه المرشحين لتلك الانتخابات، وبالرغم من وضع أجهزة الدولة كل ثقلها إلى جانب مرشحها فيها، لم ينل هؤلاء سوى 45% من نسبة المقترعين في عكار. لذلك من الطبيعي أن يستنتج الباحث أنه كان بإمكان الفريق المقاطع أن يفوز بسهولة على خصومه، في حال قرّر الاستمرار في المعركة.

تخليه عن موقعه كمرشح قوي للانتخابات لنسيبه الشيخ ميشال في العام

1948، واستمرار دوره كزعيم

كان من الطبيعي أن يتابع الشيخ انطونيوس، كما بقية المرشحين المقاطعين آنذاك، حياته السياسية وجهوده الرامية لخدمة أبناء منطقته وتحسين أوضاعهم، بالطرق التي يراها الأنسب، وكما تسمح به ظروف البلاد، خاصة بعد أن لمس مدى دعم المؤيدين والأصدقاء في القبيات وعكار، لترشيحه في تلك الانتخابات.

وفي العام التالي، أي في سنة 1948، عاد نسيبه الشيخ ميشال الضاهر زوج السيدة أيلين، ابنة شقيقه الشيخ سليم، رئيس بلدية القبيات الأسبق، من البرازيل. وكانت ابنة عمنا السيدة أيلين، اشبيبة الشيخ انطونيوس، هي التي تمننت عليه دعم ترشيح زوجها العائد من المهجر. وكانت هي التي فاتحت عمها برغبة زوجها في ترشيح نفسه للانتخابات النيابية.

ونظراً لمحبهته الكبيرة لابنة شقيقه، وإكراماً لذكرى والدها الشيخ سليم الذي كان قد توفي في العام السابق، وافق الشيخ انطونيوس على طلبها، وقال لها إن كل شيء معد وجاهز لكي يستفيد منه زوجها، وينطلق في العمل السياسي، كما قالت عقيلته السيدة نرها، وأكدّه في اللقاء ذاته الشيخ جودت ضاهر⁷⁰ وقد

⁶⁸ — عزمي بك العثمان في اليوم المذكور أعلاه.

⁶⁹ — مقابلة مع عزمي بك العثمان في اليوم المذكور أعلاه.

⁷⁰ — مقابلة مع الوالدة السيدة نرها بتاريخ 2 أيلول 1998، بحضور الشيخ جودت ضاهر، في منزل العائلة في القبيات.

عكس قرار الشيخ انطونيوس هذا، تخليه، بملء إرادته، عن موقعه السياسي كمرشح قوي للانتخابات النيابية، لشخص آخر هو نسيبه. وهذه ممارسة نادرة في عالم السياسة.

إذاً تخلى الشيخ انطونيوس بملء إرادته كمرشح قوي للانتخابات النيابية، لكنه بقي يمارس دوره كزعيم في القببات وعمار، ووضع كل إمكانياته السياسية والمادية في سبيل مساعدة نسيبه الشيخ ميشال على الفوز بالمقعد النيابي الماروني في عكار.

وتولى الشيخ أنطونيوس تقديم الشيخ ميشال لأصدقائه في عكار، ومنهم، على سبيل المثال، الدنادشة في مشتى حمود⁷¹. وآل المرعبي في البيرة وآل الأسعد في عكار العتيقة وآل جعفر والوزير والنائب السابق محمد بك العبود المرعبي في برفايل. ولعب دوراً مهماً في الاتفاق على تحالف الشيخ ميشال وهذا الأخير، في انتخابات 1951. وعندما حاول البعض إبعاد الرجلين عن بعضهما البعض، لم يقبل الشيخ انطونيوس، كما قال لنا مختار منجز السابق السيد يوسف سليم إبراهيم⁷²، وقد علق على ذلك الموقف بقوله "أنتم صدقاتكم ثابتة".

بالإضافة إلى ذلك، لعب الشيخ انطونيوس دوراً مهماً في المطالبة بإعادة تخصيص مقعد نيابي ماروني لعكار، كما قال لنا السيد يوسف سليم إبراهيم. إذ أثناء اجتماع وفد عكاري مع رئيس الجمهورية آنذاك الشيخ بشارة الخوري، كان الشيخ أنطونيوس أول من تكلم، وطالب الرئيس الخوري بمقعد نيابي لعكار، ووعده الرئيس، ثم عبر عن تأييده للشيخ ميشال، الذي لم ينجح تلك السنة، لكنه نجح لاحقاً. وكان معنا السادة عبدو فخر وجميل هلال وشاهين هلال والياس سرقيس... كلهم كانوا مؤيدين للشيخ ميشال، وبرفقة الشيخ انطونيوس⁷³.

وتابع الشيخ انطونيوس دعمه للشيخ ميشال، بكل ما أوتي من قوة، حتى جرت انتخابات العام 1957، ففاز فيها مع السادة بشير بك العثمان ورؤوف حنا وعبد الكريم بك القدور.

في تحليل لدوره في دعم وتأمين نجاح الشيخ ميشال، يقول عزمي بك العثمان: "في العام 1951، مثلاً، كان سندا الحقيقي في منطقة الدريب الشيخ أنطونيوس. وهو كان يدعم الشيخ ميشال بشكل منقطع النظير. هو الذي عرفه على الشخصيات. ولولاه لم يكن له حظ بالنجاح"⁷⁴. ويعبر عبد الله بك الخالد عن رأي مشابه بالقول: "الشيخ ميشال كان مسافراً. والشيخ انطونيوس أعطاه مكانه. مع احترامي للشيخ ميشال، فإن الشيخ انطونيوس هو الذي أمن نجاحه، كما فعل محمود الخالد مع سليمان العلي"⁷⁵ أما النائب السابق عبد الكريم بك القدور، وشريك الشيخ ميشال في الفوز في انتخابات 1957، فيقول عن دور الشيخ انطونيوس: "كان مرجعيةً للسياسيين. كان قطباً سياسياً... كان مرجعيةً في عكار. والدليل على مرجعيته، أننا أخذنا في القببات في انتخابات 1957، العدد الأكبر من الأصوات أو تقريباً أيدتنا القببات كلها، ولم

⁷¹ — مقابلة مع الشيخ أحمد الدندشي والدكتور دحام دندشي والسادة محمد هشام الدندشي في مشتى حمود.

⁷² — مقابلة مع مختار بلدة منجز السابق السيد يوسف سليم إبراهيم، في منزله في منجز بتاريخ أيلول 1998، ثم حديث هاتين بتاريخ 14 أيلول 1999.

⁷³ — مقابلة مع عزمي بك العثمان في اليوم المذكور.

⁷⁴ — مقابلة مع الشخص نفسه المذكور أعلاه.

⁷⁵ — مقابلة مع عبد الله بك الخالد في منزله في البيرة بتاريخ 14 تشرين الثاني 1998.

نخسر سوى 30 أو 40 صوتاً، على ما نذكر... "وأضاف": "حتى بين بعضنا كنواب كنا نلجأ إليه. وإذا حدثت مشكلة بين بعضنا، كان الشيخ انطونيوس يتدخل ليحلها لنا... ولاحظ أنه "أثناء عيد الميلاد أو العيد الكبير عندما كنا نأتي لمعايدته كان منزله يفض بالناس من جماعتنا... حتى لكان يصعب علينا الجلوس بالشكل المناسب؟... وشدد على أنه "على ما أذكر، كلما اجتمعنا نحن النواب الأربعة كان الشيخ انطونيوس خامسنا"⁷⁶.

⁷⁶ — مقابلة مع "عبد الكريم" بك القدر بتاريخ 2 أيلول 1998.

الفصل الرابع

مواقف الشيخ انطونيوس

خلال أزمة 1958 وحرب السنتين "1975 – 1976"

"كان من خيرة المخلصين للصلح والوفاق بين الجميع. كنا نعقد مجلس أمن في منزله. كان من خيرة الناس. كنا نعقد عدة اجتماعات في هذا البيت الكريم الذي يحافظ على الجيرة. نحن كنا نرتاح إليه ونؤمن بما يقول ونفوضه حل الخلافات...".

النائب السابق الشيخ علي حمد جعفر

"كان مرجعية وقراراته كانت تعكس الحكمة وكنا نشعر من خلال اتصالاتنا مع الناس أنهم يلتزمون بما يقوله لهم الشيخ أنطونيوس. كان يحل مشاكل المنطقة ومشاكل البلدة. كان موضع ثقة عند الناس وعندنا... الاجتماعات مع الشيخ أنطونيوس كانت أفضل سبيل لتمكنا أن نتعرف على كل شخصيات المنطقة...".
العميد المتقاعد اللبناني فهمي حمدان،
متكلماً عن فترة وجود الجيش في القبيات عام 1958.

موقفه خلال أزمة 1958 "نحن مع أبنائنا في الجيش"

اندلعت أحداث العام 1958 في بيروت، وكانت الشرارة الأولى فيها مقتل الصحفي نسيب الممتي. ومن الأسباب الهامة التي أدت إلى قيام تلك الأزمة، ما كان يمت إلى الداخل اللبناني، وغيره ما كان مرتبطاً بالوضع العربي والدولي. داخلياً فإن موقف السلطة خلال انتخابات 1957 ساهم في ازدياد عدد المعارضين لسياسة رئيس الجمهورية آنذاك كميل شمعون. وخارجياً، فإن انقسام العالم العربي إلى محورين: محور موالٍ للغرب تزعمه العراق، ومحور ثانٍ تزعمته مصر بقيادة عبد الناصر، مع ما استتبع ذلك من محاولات استقطاب الدول العربية، وانعكاساتها هذه الأخيرة على الشارع العربي، أضف إلى ذلك دخول لبنان في مبدأ ايزنهاور (الرئيس الأميركي آنذاك) وموقفه من حلف بغداد، هذه الأسباب وغيرها أدت كلها إلى انفجار الوضع في لبنان. ولم تشكل عكار استثناءً في حالة الغليان تلك، إذ رمت الأزمة بثقلها على أبنائها، فمنهم من

انضم إلى الثورة ضد رئيس الجمهورية، ومنهم من كان موالياً لرئيس الجمهورية، وآخرون آثروا عدم المشاركة والبقاء على الحياد؟.

ماذا كان موقف القبيات خلال تلك الأزمة؟

عرف أبناء القبيات تاريخياً، باحترامهم لجيرانهم وإقامتهم علاقات صداقة وأخوة معهم. وفيما يتعلق بذواتهم، فإنهم عرفوا باحترام النفس، والمحافظة على كرامتهم، ودفاعهم عن أنفسهم.

هذا على صعيد القناعة الأساس. أما ما يرتبط بموقفهم خلال تلك الفترة، فيمكن القول إنه برز شبه إجماع على صعيد القيادات والشعب في القبيات، على عدم الانضمام إلى الثورة، والإبقاء على حيادهم في الصراع الدائر آنذاك في لبنان. قلنا شبه إجماع لأن هناك فريقاً في القبيات، لأسباب خاصة به، قرر الوقوف مع الثورة. وكان الشيخ أنطونيوس، وغيره من الزعماء في القبيات وشرائح واسعة من الأهالي يحترمون هذا الرأي المغاير لرايهم. واستمر التعاون والعلاقات الطيبة التي كانت تربط الشيخ أنطونيوس بالمسؤولين عن هذا الفريق.

في مواجهتهم لحالة الثورة، كان من الطبيعي لأبناء القبيات ولكل لبناني أن يتذكر القول المأثور "عند انحلال الحكم أحفظ رأسك"، وتساءلوا عن السبل الكفيلة بإبعاد الانعكاسات السلبية عنهم. هذه الانعكاسات وصفقتها وثيقة تاريخية وقّعها الزعماء كمال جنبلاط ومعروف سعد وكامل الأسعد وجان عزيز، ونصّها هذا الأخير، في أيار 1958، وقد أشارت إلى أن "عملاء السوء راحوا يوطنون في الأراضي اللبنانية لفتنة طائفية تأبأها الكثرة الساحقة من أبناء الشعب وينفر منها كل ذي ضمير حي، وذلك بافتعال حالة من القلق والذعر...".

شعر الشيخ أنطونيوس بهذه المسؤولية المضاعفة الملقاة على عاتقه، وعاتق غيره، وهي مسؤولية الحفاظ على أمن الناس، وعدم إفساح المجال أمام أي مستغل لظروف الثورة، أن يلحق الأذى، مهما كان نوعه، بأبناء القبيات. وكان من الطبيعي أن يفكر ملياً بهذا الموضوع، ويتشاور مع الجميع، الذين كان يلتقيهم باستمرار، أما في منزله أو في زيارته لهم أو في ساحة القبيات. وتوصل إلى قناعة مزدوجة تمثلت بأهمية تمكين الوضع الداخلي، للدفاع عن النفس في حال تعرّضت البلدة لأي أذى، من ناحية، وتأكيد القبيات على علاقات الصداقة والأخوة وحسن الجوار، واستمرار اعتدالها وانفتاحها في المواقف العامة، من ناحية أخرى. وقد حصل توافق في القبيات حول هذه القناعة المزدوجة، ترجمها الزعماء والأهالي ممارسات وأعمالاً على أرض الواقع. هذه القناعة كانت في أساس الدعوة إلى اليقظة والحذر، خاصة أثناء الليل، والسهر على حدود البلدة، منعاً للتسلل والاعتداء على أهلنا، وإلحاق الأذى بهم. وكان الشيخ أنطونيوس، وهو المعروف عنه أنه ينام باكراً، كان يسهر معظم الأيام، حتى ساعة متأخرة من الليل، إن لم يكن حتى طلوع الفجر، إلى حين عودة الحراس من المتاريس، ليطمئن إلى سلامة الجميع، وعدم حصول ما يقلق، عند ذلك كان يخلد إلى النوم.

وفي هذا الإطار يذكر الدكتور فؤاد سلوم في شهادته عن الشيخ أنطونيوس، وتحديداً عن فن القيادة لديه: "... كانت القبيات محاصرة، مهددة، كانت الحراسة، على تخومها، يومية، ومداورة بين الأهالي. كان الشيخ مطانيوس المرجعية التي تؤمن الاتصال بين الداخل والجوار، والخارج البعيد. وإذا طال الحصار، من غير هجومات، سُم الحرس، فحصل تراخ، مما قد يؤدي إلى خطر جدي، إذا حصل هجوم مفاجئ. فصار الشيخ يعلن، كل يومين - ثلاثة أن رسالة وصلت، فيها تهديد بالهجوم، أو نُقل إليه تحذير من أحد الأصحاب، فينشط

الحرس... وهكذا، حتى نهاية الأحداث، بقي التيقظ، بفضل، حياً: كذلك بهذا الأسلوب استطاع أن يربط كل الأحداث بشخصه، فبقي "الشخصية المحورية"⁷⁷.

وفي الفترة الأولى من الثورة، والأرجح في أوائل حزيران 1958، شنّ الثوار هجوماً على القببات، فدافع الأهالي عن أنفسهم وتصدوا للمهاجمين بقدراتهم الذاتية، وبالانتكال على أبنائهم الجنود والضباط المتقاعدين، بشكل خاص.

ويوم حصول الهجوم كان الرائد خليل ضاهر وجوداً في القببات، فتوجّه بسرعة إلى غرفة الهاتف العمومية التي كانت موجودة في ساحة القببات آنذاك، ويشرف عليها السيد وديع داود الصايغ. ومن هناك اتصل بقيادة الجيش في بيروت، وأعلمهم بالأمر. فقررت القيادة إرسال مجموعة من قيادة طرابلس، بإمرة النقيب سيمون سعيد والملازم أول فهمي حمدان (اليوم أصبح الاثنان عميدين متقاعدين) فتوجهت هذه المجموعة إلى القببات، وكانت مؤلفة من سرية مشاة ومصفحات"، كما قال لنا العميد سيمون سعيد، خلال مقابلة معه في منزله في بيروت بتاريخ 11 أيار 1999، وأضاف متحدثاً عن تلك الفترة: "عند حدود القببات، من جهة البيرة، أطلقنا قنابل باتجاه الثوار. وكان سقط في القببات ثلاثة قتلى. وسألنا عن المسؤول في القببات فقالوا لنا الشيخ أنطونيوس الضاهر. فاتفقنا معه على برنامج عمل. وكان حاضراً لفترة، الرائد خليل ضاهر.. قلنا إننا سندافع عن القببات وعندقت، بالتعاون معهم. وأقمنا خط دفاع. وقطعت عنا خطوط التمويل. وتوفي رقيب من آل شمعون، نقلت رفاته لاحقاً إلى سرعين...".

وشدد على أنه "لم يكن هناك طائفية في الجيش. وكنت، مع الملازم أول فهمي حمدان نذهب كل أحد إلى الكنيسة".

وأهني قائلاً: "بعد فترة، أخذنا ننقلى البرقيات من القيادة أن مهمتنا انتهت ويجب العودة إلى مراكزنا. ولما كان الوضع لا يزال حرجاً، فقد أحضرنا كمية من البنادق بالهليكوبتر، وتركنا جهاز راديو لتأمين الاتصال مع قيادة الجيش".

ولما سمع أهالي القببات بخبر عودتنا إلى مراكزنا أقاموا مظاهرة... وفي فترة وجودنا في القببات ربطتنا صداقة قوية بالشيخ أنطونيوس⁷⁸. العميد فهمي حمدان، في مقابلة معه في المسبح العسكري - بيروت، بتاريخ 25 آب 1999، قال: "عندما وصلنا، كان هنالك بعض الحساسيات. لكن مع الوقت رأينا أن العلاقات السابقة، التي كانت موجودة ما بين القببات وعندقت والمنطقة المجاورة، قد عادت. كانت هنالك علاقات أخذ وعطاء... وصداقة ومحبة".

وأضاف أن "اجتماعاتنا مع الشيخ أنطونيوس كانت أفضل سبيل لنتمكن أن نتعرف على لكل شخصيات المنطقة والأهالي، وخاصة في القببات وعندقت، بسبب المنزلة التي كان يحتلها الشيخ، وإذا أردنا أن نقول شيئاً للأهالي، من أجل الأمن، كنا نتمنى عليه إبلاغهم. كان الوساطة بيننا وبين الأهالي. وكان الشباب يتجاوبون مع الشيخ. وكان هناك أيضاً معه من القببات وعندقت زعماء وشخصيات نتعاون معها. وهكذا توصلنا إلى حفظ الأمن".

⁷⁷ - راجع: شهادة الدكتور فؤاد سلوم.

⁷⁸ - مقابلة مع العميد فهمي حمدان في بيروت بتاريخ 1999/8/25.

وعن دور الشيخ أنطونيوس أكد العميد حمدان "كان مرجعية وقراراته كانت تعكس الحكمة. وكنا نشعر من خلال اتصالاتنا مع الناس أنهم يلتزمون بما يقوله الشيخ أنطونيوس. كان يحل مشاكل المنطقة ومشاكل البلدة. كان موضع ثقة عند الناس وعندنا"⁷⁹.

إذاً تعاون الشيخ أنطونيوس وبقيّة مشايخ القببات، مع قوة الجيش التي كانت متواجدة في القببات وعندقت أثناء أزمة 1958، للحفاظ على الأمن والاستمرار في علاقات الصداقة والعيش المشترك التي جمعت تاريخياً بينهم وبين جيرانهم وإخوانهم في عكار.

العلاقات مع البلدات والعشائر المجاورة

أما ما يخص باستمرار علاقات الصداقة والأخوة مع جيران القببات، فكان الشيخ أنطونيوس حريصاً، بالتنسيق مع مشايخ القببات وعندقت، على إيصال مضمون هذه القناعة إلى أعيانها وأهلها، إن كان بالكلمة أو مع زوار أو رسل، أو بواسطة الرسائل. وبالتالي لم تتقطع الاتصالات أبداً بين الفريقين. وعندما كانت تبرز مشكلة بين بعض أبناء القببات وأبناء البلدات المجاورة، كانوا يسرعون لتطويقها أو حلها، بالتعاون مع زعماء هذه البلدات... يقول الأستاذ شاهين نادر، مدير ثانوية القببات الرسمية في شهادته المؤرخة في 1999/8/30 عن الشيخ أنطونيوس "... كان حكيماً في حل المشاكل، رصيناً في تهدئة الخواطر والمشاعر عند وقوع خلافات بين أهلنا في القببات والجوار، خصوصاً في الظروف الصعبة التي ضربت الوطن... كان غنياً في كرم ضيافته وفتح بيته، ومحافظة على علاقات جيدة مع المحيط..."⁸⁰.

عكار العتيقة

في رسالة موجهة من زعماء عكار العتيقة وموقعة من السيد صبحي الأسعد العلي، رئيس بلديتها آنذاك وزعيم آخر نرجح أنه الحاج هاني الأسعد، ومؤرخة في 1 حزيران 1958، وموجهة إلى "السادة الكرام الشيخ مطانيوس أغناطيوس ضاهر وقبصر قسطون وفريد عبدو المحترمين"، نعلم أن الثلاثة الأخيرين وجهوا كتاباً (لم نستطع إيجاده) إلى زعماء عكار العتيقة يخبرونهم فيها عن "طروش عكار ترعى مزروعاتكم (أهالي القببات) وكان رد زعماء عكار العتيقة "القببات وعكار بلد واحد... فنحن مستعدين لتخمين المتلوف حسب العادة بشرط التثبت من معرفة الفاعل..."⁸¹. وفي رسالة ثانية مؤرخة في 1958/8/3 أكد زعماء عكار العتيقة أنهم يستتكرون "جميع الحوادث التي تحصل بيننا" وأنهم قرروا "ستتخذ جميعاً قراراً بمجازاة الفاعلين من أهالي بلدتنا إذا كانوا مخطئين". وأنهوا بالقول: "نحن معكم على وفاق تام سبق لنا ونحن مستعدين لمنع كل تعدي يحصل عليكم من أي جهة كانت مصدرها ولم نزل على تعهدنا فنرجوكم ضرب موعد للاجتماع بكم للنفاهم"⁸².

79 — مقابلة مع العميد فهمي حمدان.

80 — شهادة الأستاذ شاهين نادر مدير ثانوية القببات.

81 — راجع: الوثيقة رقم 12.

82 — راجع: الوثيقة رقم 13.

مشتى حمود

على حد علمنا لم يستلم زعماء القبيات رسائل مكتوبة من زعماء ووجهاء مشتى حمود، سوى تلك التي أرسلها المحامي شوقي شريف الدندشي بتاريخ 27 أيلول 1958، والتي سنتناولها بالتفصيل بعد قليل. لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أنه بالرغم من قلة الرسائل المكتوبة، استمرت الاتصالات الشفهية من خلال الرسل والزوار والأصدقاء المشتركين.

وجّه المحامي الدندشي رسالته إلى "مشايخ القبيات وعندقت" يدعوهم فيها لحضور اجتماع بتاريخ 10 أيلول 1958 في منزل السيد عمر زريقة في المنية. واستهل هذه الرسالة بالتأكيد على أهمية تأمين الوحدة والخير للشعب قائلاً: "لما يقتضيه العهد من تضافر الجهود لتأمين الوحدة والخير للشعب اللبناني، أرجو حضوركم يوم الثلاثاء الواقع في 30 الجاري"⁸³.

عند استلامهم هذه الرسالة تشاور الزعماء والأهالي حول مضمونها وقرروا تلبية الدعوة وحضور الاجتماع، لأن مواقفهم في القبيات كانت تعكس دائماً الانفتاح والرغبة في الحوار، من أجل تذليل الصعوبات التي يمكن أن تطرأ في كل وقت.

وفي اليوم المحدد حضر، حسب علمنا، المشايخ أنطونيوس ضاهر وفريد عبود وقيصر قسطون/ومن عندقت (ولسنا متأكدين من ذلك). حضر المشايخ رشدي فخر وهاني مسعود والمختار يوسف نفاع بالإضافة إلى وصاحب الدعوة المحامي الدندشي، والمضيف السيد عمر زريقة، فقد حضر أيضاً بعض زعماء عكار والمنية. استهل المحامي الدندشي الاجتماع معاتباً زعماء القبيات على موقفهم خلال الثورة، قائلاً لهم: "أنتم كنتم مع الظالم (يقصد الرئيس شمعون) على ظلمه"، عندها انبرى الشيخ أنطونيوس، بالاتفاق مع بقية الزعماء للرد عليه قائلاً: "نحن لم نكن مع الظالم. نحن لم نكن مع أي فريق. نحن مع أبنائنا في الجيش. لا يمكن أن نشارك في الثورة ونطلق النار عليهم". فأجاب الدندشي: "الجيش معنا"، فرد الشيخ أنطونيوس: "لسنا على علم بذلك. لم يخبرنا أحد بموقف الجيش. على كل حال أن القبيات وعندقت كانتا دائماً مسالمتين، ولم تعديان على أحد. وكل ما فعله أبنائنا كان دفاعاً عن النفس".

عندها تطّلع المحامي الدندشي إلى الحضور قائلاً: "أتعلمون من هو الشخص الذي يقف هذا الموقف تجاهي؟ إنه أعز صديق لي". فردّ الشيخ أنطونيوس قائلاً، مع مسحة من العتب: "كان من الأفضل لو ابتدأت الحديث بالكلام عن صداقتنا".

وارتاح جميع الحاضرين، وعادوا وأكدوا روابط الصداقة والأخوة التي جمعت بين أبناء القبيات وعندقت، ومشتى حمود وكل عكار. ورفع الاجتماع في أجواء إيجابية.

وما دمنّا نتكلم عن علاقة الجيش بالثوار أثناء أحداث تلك السنة، من المهم أن نسلط الضوء على أحد الاجتماعات الهامة المرتبطة بهذا الجانب، والتي حصلت في القبيات في صيف 1958، أعني اجتماع الدكتور بطرس ديب مع أهالي القبيات، في بيت الشيخ أنطونيوس ونود أن نذكر هنا أننا أثناء بحثنا وتجميعنا لمواد هذا الكتاب عن الشيخ أنطونيوس، أننا اتصلنا بالدكتور ديب، قبل أن يغادر إلى باريس، ويخطفه الموت هناك،

⁸³ - راجع: الوثيقة رقم 16.

وسألناه إذا كان يريد أن يتكلم عن ذلك الاجتماع، فرحب بذلك، واعداً بتلبية طلبنا بعد عودته إلى بيروت. ولكن الموت كان أقوى من إرادة الحياة، ومن رغبة العالم الكبير الذي تسنى له أن يشارك في قرارات هامة عديدة، في مختلف المسؤوليات التي شغلها.

لذلك اتصلنا بشقيقه المحامي ضاهر ديب وسألناه إذا كان بإمكانه أن يلقي بعض الأضواء على ذلك، فرحب بسؤالنا، وأعرب عن استعداداه للإجابة عنه، مشيراً إلى أنه كان يرافق شقيقه بطرس في زيارته العديدة إلى الشمال خلال تلك الفترة، وما قاله: "أنا سعيد أنني عشت تلك المرحلة مع أخي، الذي كان له صفتان:

الأولى أنه كان عديل حميد بك فرنجية، والثاني أنه كان مستشار اللواء فواد شهاب، قائد الجيش آنذاك. وعندما طلب عقد الاجتماع مع أهالي القبيات وعندقت، في منزل الشيخ أنطونيوس فإنه كان يلعب دور الوسيط. كان يهدف إلى تحييد المنطقة كلها، وإبعادها عن أحداث تلك الفترة، وخاصة لأن أكثرية عديد الجيش اللبناني منها. وهو كان نقل رواتب العسكريين إلى عائلاتهم في القبيات وعندقت. إذاً شقيقي الدكتور بطرس وحميد بك فرنجية والشيخ أنطونيوس، كان لهم دور رائد في التهدئة"⁸⁴.

العلاقات مع آل جعفر

بالنسبة لآل جعفر فقد حفظ الشيخ أنطونيوس رسالتان استلمهما مشايخ القبيات أثناء تلك الفترة. وفي لقائنا مع النائب السابق الشيخ علي حمد جعفر في منزله في كرم شباط بتاريخ 15 أيلول 1999 أطلعته عليهما هو ونجله الشيخ ياسين. الرسالتان مؤرختان، أحدهما "سنة 1958" والأخرى "1958/6..."، وقد تلتطف الشيخ ياسين بمساعدتنا على قراءة الأسماء الواردة في السطر الأول من الرسالة الأولى، وفيها توقيع كل من سعيد حمد جعفر ومحمد رشيد جعفر وحسن ياسين جعفر، إلى جانب علي حمد جعفر وآخرون. في هذه الرسالة الموجهة إلى "حضرة مشايخ القبيات المحترمين"، يقول آل جعفر: "خبرنا بأن وصلكم كتاب عن لسان آل جعفر ونحن لا ندري بهذا الكتاب ولا نعلم معناه وعندما يلزم لنا شغل فنتفاهم"⁸⁵ بغير كتاب"⁸⁶.

وفي الرسالة الثانية المؤرخة في "58/6"، وموجهة إلى "مشايخ آل القبيات يطلب الجعافرة أن يعود كل فلاح من القبيات إلى كرم شباط... تتأمل منكم كل فلاح منكم في مزرعة كرم شباط أن يطلع إلى الزرع.

وإن الزرع لم يندس أبداً والشاوي منكم أن يطلع على مياهه والأخوية والجيرة من القديم"⁸⁷.

وتلي: توقيع وجهاء آل جعفر.

⁸⁴ — مقابلة مع الأستاذ ضاهر ديب في منزله في البيضاء بتاريخ 9 أيلول 1999.

⁸⁵ — مقابلة مع السيد علي حمد جعفر في منزله في كرم شباط بتاريخ 5 أيلول 1999.

⁸⁶ — راجع: الوثيقة رقم 14.

⁸⁷ — راجع: الوثيقة رقم 15.

مواقفه خلال حرب السنتين (1975 – 1976)

كُتِبَ الكثير عن حرب السنتين. وما يهمنا في هذه الدراسة هو انعكاساتها على القبيات وعندقت وعمار. ومن المنطقي أن نورد باختصار أسباب هذه الحرب، تمهيداً للكلام عن تلك الانعكاسات.

بعض أهم تلك الأسباب، والتي أوردناها في دراسة نشرناها في الديار بتاريخ 8 تشرين الثاني 1990:

– الخلاف السياسي بين الأفرقاء اللبنانيين على طبيعة النظام اللبناني وطريقة الممارسة فيه. هذا الخلاف الذي انفجر صراعاً مسلحاً منذ العام 1975، واتخذ لوناً طائفيّاً في بعض فترات الحرب.

– التفاوت الاجتماعي – الاقتصادي بين المناطق اللبنانية على أساس جغرافي. إن بلدات أكرام والنهرية وممنع وتاشع في عكار، مثلاً تتساوى في الحرمان، مع بعض قرى الجنوب والبقاع وأعالي قضائي سير الضنية والبترون.

أطماع إسرائيل في لبنان وخاصة في مياهه، ومحاولاتها المتكررة لضرب صيغة العيش المشترك فيه، التي تشكل نقيضاً لوجودها.

اجتماع 11 تشرين الأول 1975 في منزله

في الأشهر الأولى من حرب السنتين، وبعد انتهاء جولاتها الأولى وظهور بوادر استمرار الصراع وتأزيمه، تشاور الصديقان نقيب محامي الشمال شوقي الدندشي والشيخ أنطونيوس، حول الموقف الممكن اتخاذه لتجنّب المنطقة الشرقية من عكار من آثار الحرب، والتشبّث بالعلاقة الأخوية الإسلامية – المسيحية.

وفي بداية تشرين الأول 1975 اتفقا على دعوة زعماء هذه المنطقة إلى اجتماع في القبيات يوم السبت في 11 تشرين الأول، وفي منزل الشيخ أنطونيوس، بناءً على طلب الأستاذ شوقي. وحضر الاجتماع بالإضافة إلى الأستاذ المحامي الدندشي والشيخ أنطونيوس، من القبيات، المشايخ ميشال ضاهر وأببير ضاهر وفريد عبدو واسكندر غصن والمحاميان صبري عبدو وجورج زيتوني، وبعض الأهالي، وعن عندقت الشيخ رفيق فخر والمختار يوسف نفاع ورئيس البلدية الشيخ عارف البيطار والمعاون أول المتقاعد جوزف شاهين والمعاون الأول المتقاعد يوسف ساسين البيطار، وأيضاً كاهن بلدة شذرا الأب نقولا خوري، المحامي ياسر الدندشي والسيد أحمد الدندشي من المشتى، والسيد علي أحمد، أحد مشايخ العرب في وادي خالد.

النقيب الدندشي افتتح الاجتماع بكلمة قال فيها: "نحن أهل وجيران، ونعيش مع بعضنا البعض من عشرات السنين، في هذه المنطقة. ونحن نرفض أن ننجرّ إلى الصراع الدائر في بيروت وغيرها... وإذا كانت الفتنة هدفها صراع طائفي ضد المسيحيين فنحن كلنا مسيحيون. وإذا كانت الفتنة هدفها الصراع ضد المسلمين، فاسمحوا لنا أن نقول باسمكم أننا كلنا مسلمون. ونحن نريد أن نكون مثلاً لسائر المناطق في لبنان، بتعايشنا ومحبتنا".

وحسب ما نقلته صحيفة "النهار"، فإن المجتمعين أكدوا "تمسكهم بالروابط الأخوية وتأييدهم لصيغة التعايش في المنطقة ورفضهم الانجرار إلى الصراع الطائفي"⁸⁸.

⁸⁸ – تقرير نشر في صحيفة "النهار"، 13/10/1975.

ثم أقيمت عدة كلمات في هذه المناسبة الهامة... الأستاذ وليم هاشم ضاهر الذي كان قد كلفه خاله الشيخ أنطونيوس إلقاء كلمة، شدد فيها على أهمية الوحدة الوطنية والعيش الواحد، باعتبار أن عكار كانت دائماً مثالاً للعلاقات الأخوية والتلاقي بين مختلف العائلات التي تجمعها روابط اجتماعية كرست روح العائلة الواحدة، التي تميزها المحبة والتفاعل الإنساني. السيد علي أحمد تكلم بأسلوب شاعري قائلاً إن النسيم الذي يمر فوق القبيات وعندقت يصل إلينا محملاً بالمحبة. ولم نكن بحاجة، لولا الظروف والأحداث، لإعلان محبتنا لكم لأنها قائمة...".

في نهاية الاجتماع تم الاتفاق على تأليف لجنة ارتباط من سائر بلدات وقرى المنطفة الشرقية. وبعدها انتقل الجميع إلى بلدة البيرة حيث عقدوا اجتماعاً مشابهاً، أكدوا فيه على ما اتفقوا عليه في اجتماع القبيات.

وعلى طريق عودتهم، وعلى مدخل حي الغربية، اعترض مسلحون ثلاثة من القبيات السيارة التي كان يقودها الأستاذ جوزف ضاهر، نجل الشيخ أنطونيوس والذي كان يجلس بقربه، ومعهما الشيخ فريد عبود، ومنعهم من متابعة سيرهم لبعض الوقت. لم يعر لا الشيخ أنطونيوس ونجله جوزف جهة، ولا الشيخ فريد من جهة أخرى، أكثر من اهتمام عادي لهذا التصرف، وتركوا للأهالي أن يُعبروا عن استنكارهم له. وهذا ما حصل بالفعل.

تأمين الطحين إلى القبيات وعندقت خلال الحصار في العام 1976.

بعد الهجوم الأول الذي تعرضت له القبيات وعندقت في أوائل آذار 1976، ضرب طوق حولهما، منع بموجبه دخول المواد الغذائية وغيرها، إلى هاتين البلدتين. وبعد فترة كان من الطبيعي أن يشعر الأهالي بوطأة هذا الحصار. وابتدأ الجميع - المقيمين في الداخل أم في بيروت - بالتساؤل عن كيفية تأمين وصول المواد الغذائية إليهما وكنا نحن في بيروت، في إطار تجمع القبيات - عندقت، أو في أحاديثنا مع الوالد، نتشاور حول الموضوع. وذات يوم سألنا (شقيقي جوزف وأنا) الوالد حول فكرة اتصالنا بصديقنا النائب طلال بك المرعي من أجل طلب المساعدة في هذا الموضوع. فشجعنا الشيخ أنطونيوس على القيام بذلك، خاصة وأن النائب المرعي هو نجل صديقه النائب السابق خالد بك عبد القادر المرعي، وهو توسم فيه الجدية والذكاء والاهتمام بمشاكل الناس. فعرضنا الفكرة على أعضاء تجمّع الشباب، في الأشرفية، فوافقوا جميعاً. عندها اتصلت هاتفياً بالنائب المرعي وشرحت له وضع الأهالي على الأرض، فأبدى استعداد الفوري للذهاب إلى سوريا، والتشاور مع المسؤولين فيها حول كيفية مساعدة أبناء القبيات وعندقت. وطلب منا أن نكلف شابان للقاء معه في حمص، من أجل المساعدة على نقل المواد الغذائية، فلما أخبرنا الزملاء في التجمع عن موقف المرعي، تطوع الأستاذان ريمون بيطار من عندقت وعبود عبود من القبيات. وقرّر هذا الأخير تأمين مبلغ من المال، لقاء تعهد الجميع - الزعماء والأهالي، بإعادة المال إليه. فاتفقنا على كتابة التعهد الذي أُرخ في 14/4/1976 وطلبنا من كل الذين أمكن الاجتماع بهم في تلك الفترة، (حتى ولو تعرضنا للخطر أثناء تنقلنا بين أحباء بيروت) التوقيع على هذا التعهد⁸⁹.

⁸⁹ - راجع: الوثيقة رقم 17.

وسافر السيدان عبود وريمون البيطار إلى سوريا، حيث التقيا النائب المرعي، وكان هذا الأخير قد أجرى اتصالاته مع كبار المسؤولين السوريين، والتي أثمرت صدور قرار للمدير العام للمؤسسة العامة للتجارة وتصنيع الحبوب السيد نديم إبراهيم، مصدقاً من وزير التموين والتجارة الداخلية المهندس أحمد قبلان بتسليم "السيد طلال المرعي نائب عكار" حسب ما نص عليه القرار، كمية مئة طن من الدقيق"، على أن تتم عمليات التسليم من قبل الجانب اللبناني في أرض مستودعات المؤسسة في حمص وتحمل الجانب اللبناني نفقات التحميل والتنزيل⁹⁰ وبعد أيام وصلت قوافل الطحين من حمص، إلى القبيات وعندقت، وسط سرور الأهالي وابتهاجهم، أكانوا في الداخل أم في بيروت. وكما كان فرح الشيخ أنطونيوس كبيراً عندما وصلته الأنباء السارة. إثر ذلك تولينا كتابة بيان شكر، باسم تجمّع شباب القبيات – عندقت، لسيادة الرئيس حافظ الأسد والنائب طلال المرعي⁹¹ وقد نصّ هذا البيان على التالي:

إننا نشكر نائب منطقتنا الأستاذ طلال المرعي ومعاونيه للبادرة الكريمة عنه ولمشاركته إيانا ظروفنا الصعبة. إننا نقدر عمله ونعتبره ديناً في أعناقنا جميعاً.

إن التجمع يشكر أيضاً بحرارة سائر الأجهزة الحكومية السورية المختصة والمؤسسات الدينية والطبية لتجاوبها الكلي معنا ولتسهيلها مهمة وفدنا إلى الشقيقة سوريا، خاصة الأجهزة الإدارية في دمشق وحمص وتلك الخ.

خطف نجليه جوزف وسليم، ورفضه خطف الأبرياء

في 4 كانون الأول 1975 خُطف نجلا الشيخ أنطونيوس جوزف وسليم في بلدة المنية، وكانا في طريقهما إلى بيروت. في صباح ذلك اليوم عبّرت شقيقتهما ماري تريبز التي كانت تنتظرهما في بيروت، لصديق العائلة الأستاذ جبور جبور، العامل آنذاك في مركز هاتف القبيات، عن قلقها من تأخر وصول شقيقها. فبادر الأستاذ جبور إلى الاتصال فوراً بالمراكز الأمنية المختصة، وبمراكز الهاتف، حتى توصل إلى معرفة مكان احتجازهما؛ أي المنية. وفي ضوء تلك المعلومات أخذ الشيخ أنطونيوس يجري اتصالاته مع أصدقائه القادة المسلمين – وهم كثر والحمد لله – ومع أقربائه وأنسبائه المسؤولين في الدولة والجيش، من أجل العمل على إطلاق نجليه. وفي اليوم الأول لخطفهما عبّر بعض الشباب من القبيات عن رغبتهم في خطف أشخاص مسلمين، من أجل المقايضة على أساسهم، كما كان يجري خلال الحرب. فشكرهم الشيخ أنطونيوس على عاطفتهم تجاهه وتجاه عائلته، وفضل الاعتماد على أصدقائه وأنسبائه، مع ما كان يحيط بالمواقف الإنسانية والعقلانية من مخاطر خلال تلك الحرب المجنونة. وبسبب الضغوط الكبيرة، التي مورست من جانب المسؤولين الرسميين والسياسيين والحزبيين والأمنيين وعلى مختلف مستوياتهم، على الخاطفين ومن كان يدعمهم، تمّ إطلاق نجله جوزف مساء اليوم الأول، وسليم في اليوم الثالث.

باختصار يمكن القول عن مواقف الشيخ أنطونيوس خلال الأزمات والحروب، كما خلال فترات الاستقرار والسلم، إنه كان ضد العنف، محباً للسلم، وعاملاً بقوة من أجل إحلاله وترسيخه في منطقتهم. وهو فهم بعمق حقيقة العلاقات الإسلامية – المسيحية، وكان مميزاً في العمل على تمتين أواصرها. رفض إثارة

⁹⁰ – راجع: الوثيقة رقم 18.

⁹¹ – راجع: الوثيقة رقم 19.

النعرات الطائفية، كما رفض أساليب تحريض اللبنانيين على قتال بعضهم البعض. كان يتألم كثيراً عندما يقصف الناس الأبرياء، أكانوا في القبيات أو في أي مكان آخر في لبنان. آمن، حتى نهاية عمره، أن لبنان لا يعيش إلا على أساس الأخوة المسيحية – الإسلامية، والعيش المشترك. وقد مارس هذه القناعة الأساس في حياته، خاصة عندما كان يبادر إلى بذل الجهود، ليس فقط من أجل التهدئة، ولكن أيضاً من أجل تجنب المنطقة الشرقية في عكار، ويلات ومآسي الحرب العنيفة المجنونة في لبنان.

في كلمة واحدة، كان الشيخ أنطونيوس شخصية تعمل للمّ الشمل، وتوحيد كلمة أبناء منطقتة. ولم يتخلّ عن نهجه ومبادئه طوال حياته.

الخاتمة

أحب الشيخ أنطونيوس مسقط رأسه القبيات، وحمل مسؤولياته كزعيم سياسي فيها وفي عكار بشكل عام. وقدم كل إمكانياته العقلية والسياسية، وحتى المادية، من أجل خدمة أبناء بلده ومنطقته. كان لصيقاً بالناس وشاركهم في أفراحهم وأتراحهم، ومن أجلهم أدخل إلى السجن. وقدر الشيخ أنطونيوس الصداقة حق قدرها، وتعامل على أساسها، حتى مع خصومه السياسيين. وفتح منزله لاستقبال الأصدقاء والزوار وأصحاب الحاجة، ولعقد الاجتماعات العامة ذات الأهمية الكبرى في حياة المنطقة. عرف حقيقة العلاقات الإسلامية – المسيحية، وكان من رواد العاملين من أجل تفعيل هذه العلاقات الأخوية وترسيخها. وقد أوصى الشيخ أنطونيوس أولاده بالاستمرار في التزام هذه القناعات والمواقف والقيم. وبإبداء القبيات خاصة، وعكار عامة، محبة الشيخ أنطونيوس لهم بمحبتهم له ولعائلته، وعبروا عن هذه المحبة في مناسبات عديدة نذكر منها يوم عودته من شهر العسل، وأثناء عمادة ابنه الأكبر جوزف، ويوم زاره الرئيس عبد الحميد أفندي كرامي في القبيات، وأثر حادثة قطع شريك الهاتف، وبمناسبة إعلان رغبته في ترشيح نفسه للانتخابات النيابية عام 1947، واستنكارهم الشديد لحادث اعتراض سيارة نجله جوزف التي كانت تقله والشيخ فريد عبدو في العام 1975.

هذه المبادرات تمت وهو على قيد الحياة. وتابعت أبناء القبيات وعكار التعبير عن تكريمهم لذكراه، ومحبتهم لعائلته، يوم شاركت جماهير من الشمال، وخاصة من عكار، في تشييع نجله منير في أيار 1996، إلى مثواه الخير.

إن محبة وتقدير الأهالي للشيخ أنطونيوس، والتي عبروا عنها مراراً، لم تقتصر على العلاقات الإنسانية والاجتماعية، على أهميتها، بل تعدتها إلى التعبير عنها اليوم في شهادات خطية وأقوال شفوية مسجلة، تعتز بها عائلته وأصدقائه، وتلقي الضوء على حياة وقناعات ومواقف هذه المرجعية، كما وصفها العديد من الشخصيات الذي كتبوا أو تكلموا عنه.

بعض المراجع

- الأب البيسري، يوحنا حبيب، لمحة من تاريخ سيدة الغسالة"، القبيات 1984.
- الأب اسطفان، نايف، "تاريخ أبرشية عكار الأرثوذكسية"، المطبعة البولسية، جونيه، 1994.
- "دراسات في تراث عكار التاريخي"، المطبعة البولسية، جونيه، 1995.
- "رعايا أبرشية عكار الأرثوذكسية"، المطبعة البولسية، جونيه، 1997.
- الصلح، تقي الدين، "في القومية والحكم"، دار النهار للنشر، بيروت، شباط 1999.
- الأب برنيه، "رحلات إلى بلاد عكار"، دار زخور، حلبا، (تعريب وتحقيق د. فرج زخور)، 1998.
- د. حبص، فاروق، "تاريخ عكار الإداري والاجتماعي والاقتصادي 1700 – 1914"، دار لحد خاطر – دار الدائرة، بيروت، 1987.
- حليمي، غسان، "عبد الحميد كرامي – 1893 – 1950"، رسالة أعدت لنيل شهادة ماجستير في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجامعة اللبنانية – الفرع الأول، بيروت، 1984.
- د. زخور، فرج، "تاريخ عكار السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1908 – 1943".
- "استراحة كلام"، دار زخور للطباعة والنشر والتوزيع، حلبا، 1992 – 1999.
- د. سلوم، فؤاد، "دريب عكار 1850 – 1950"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الروح القدس – الكسليك، 1992.
- عوض، فؤاد، "الطريق إلى السلطة"، بيروت، 1973.
- المؤتمر الأول لتاريخ عكار، "عكار في التاريخ العثماني 1516 – 1918"، دار الإنشاء، مركز محمود الأدهمي للمعلومات، طرابلس، 1995.

بعض الدراسات والمقالات

- د. زخور، فرج، "المراعبة حكام عكار"، مجلة "الأحداث"، شباط 1993.
- الزريبي، أيلى، "القبيات قلعة الصمود اللبناني"، صحيفة العمل، 12 حزيران 1976، ص. 3.
- سلوم، فؤاد، "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، وكالة أنباء الشرق – الشمال، العدد 86، 17 آب 1987.

المقابلات الشخصية

أجريت مقابلات مع 30 شخصاً من القبيات وعكار وبيروت:

1. الدكتور قسطنطين زريق – بيروت.
2. النائب السابق عبد الكريم بك القدور – كوشا (عكار) – طرابلس.
3. النائب السابق الشيخ علي حمد جعفر – كرم شباط.

4. العميد المتقاعد سيمون سعيد – جبيل – بيروت.
5. العميد المتقاعد فهمي حمدان – شحيم – بيروت.
6. المحامي ضاهر ديب (شقيق الدكتور بطرس ديب) – بيروت.
7. عزمي بك العثمان – طرابلس.
8. عبد الله بك الخالد – البيرة.
9. طلعت بك المحمد – بينين – طرابلس.
10. مختار عكار العتيقة – السيد محمد المصري.
11. مختار منجز السابق السيد يوسف سليم إبراهيم.
12. السيد علي عبدو آغا الأسعد – عكار العتيقة.
13. الحاج معين الأسعد – عكار العتيقة.
14. الأستاذ جوزف البيطار – عندقت.
15. الأستاذ رؤوف عطيه – بينو.
16. السادة أحمد ومحمد ود. دحام الدندشي – مثنى حمود.
17. الشيخ محمود الشيخ – البيرة.
18. الأستاذ انطون ملحم – منجز.
19. الشيخ هاشم ضاهر – القبيات – الذوق.
20. السيدة كلود خليل ضاهر – القبيات – الذوق.
21. الشيخ جودت ضاهر – البيات – الذوق.
22. الدكتور يوسف ضاهر – القبيات – الذوق.
23. الشيخ اسكندر غصن وزوجته السيدة حواء فرنجية – القبيات – مرمورة.
24. مختار القبيات الذوق السيد عيسى الشدياق.
25. الشيخ وجيه قسطون – القبيات – الذوق.
26. السيد يوسف سركييس الزريبي – القبيات مرمورة.
27. السيد رزق الله حنا – القبيات – الضهر.
28. الأستاذ جبور جبور – القبيات – الذوق.
29. المعاون أول المتقاعد ديب ديب – القبيات – الذوق.
30. المعاون أول المتقاعد ديب فارس – القبيات – الذوق.

الجزء الثاني

الوثائق (المنشورة لأول مرة)

الجزء الثالث

شهادات خطية وأقوال عن الشيخ أنطونيوس

لقد تلتطف الحاج محمد رشيد الأتاسي بإرساله شهادة في الشيخ أنطونيوس. ولكننا مع الأسف لم نستطع استلامها في الوقت المناسب. لذلك تشاورنا مع الأستاذ كامل الشعار، صهر الحاج محمد رشيد، واتفقنا على كتابة هذا الموجز:

"الشيخ أنطونيوس اغناطيوس شخصية بارزة ومميزة ومعروفة في منطقة القبيات وعمار، التي زرتهما للمرة الأولى عام 1935، برفقة والدي المرحوم الحاج رشيد الأتاسي، التاجر المعروف في مدينة حمص. وكعادته حلّ والدي ضيفاً على صديقه الشيخ أنطونيوس. كان الناس يقصدون منزله للزيارة، أو لطلب حاجة. وفي زيارتنا الثانية للقبيات عام 1939، حللنا والدي وأنا أيضاً ضيوفاً على الشيخ أنطونيوس. ومن عنده كنا ننتقل لزيارة بقية الأصدقاء وتجار القبيات.

ومن هؤلاء الأصدقاء المرحومين يوسف ومخول سركيس سلوم.

كان الشيخ على علاقة مودة مع وجهاء عكار العتيقة من آل الأسعد، ومع الدنادشة في مشتى حمود. وكثيراً ما التقينا عند هؤلاء الأصدقاء المشتركين.

كانت للشيخ أنطونيوس علاقات قوية ببعض الأهالي والمسؤولين في حمص. ونذكر جيداً أن مأموري الأجرار احتجزوا بضاعة تخص أحد أبناء القبيات. فأرسل الشيخ أنطونيوس كتاباً إلى نائب عام مدينة حمص الأستاذ أسير اليازجي، من خللنا. فلما قمنا بتسليمه إياه، قبّل الكتاب، وأفرج عن البضاعة المصادرة.

وفي الختام في مئوية والدكم أسمى عواطفى القلبية. وعواطف أبنائي لكم ولجميع آل ضاهر المحترمين".

الحاج محمد رشيد الأتاسي – حمص

في 1999/9/12

شهادة في الشيخ أنطونيوس

"أحفظ ود أبيك" هي الخاطرة الأولى التي راودتني وأنا أهم بالكتابة عن صديق العائلة الشيخ أنطونيوس أغناطيوس الضاهر، طيب الله ثراه.

لقد كانت متينة تلك الأواصر من الصداقة التي وصلت بحبال الحب والاحترام بين حلبا والقيبات، وبين آل اليوسف وآل الضاهر، وبين المرحوم أحمد اليوسف والشيخ أنطونيوس الضاهر.

عملاً معاً في السياسة على خلفية عروبية وآفاق عربية يدعمهما المغفور له الزعيم عبد الحميد كرامي. كان الشأن السياسي في تلك الأيام يتمحور حول بعض الأسماء البارزة. لم تزل حية في صدور العكاريين حتى اليوم مثل المرحوم خالد عبد القادر، المرحوم إبراهيم الصراف، المرحوم محمود الخالد، المرحوم سعيد الترسيبي... بالإضافة طبعاً إلى الشيخ أنطونيوس الضاهر وأحمد اليوسف.

القيبات من أكبر بلدات عكار ومن أكثرها علماً راقياً وأجملها طبيعة، كان الشيخ أنطونيوس مختارها. بهذا الإطار نفهم مكانة الشيخ وقدره ودوره. وعلى قاعدة أوراقه الهامة دوراً وقدرًا ومكانة وسع الضاهر دائرة همته ونشاطه فتوصل إلى قيادة قائمة مرشحين شمالية إلى مجلس النواب، يدعمه في ذلك العروبي الكبير عبد الحميد كرامي. وبغض النظر عن النتائج فإن الأمر يقرأ من باب المكانة العالية التي حققها أنطونيوس الضاهر. ويقيني أيها القارئ وأنا أكتب عن ماضٍ بعيد نسبياً أنه لم تتوفر في الشيخ أنطونيوس جملة مزايا وخصال، لم يكن له ما كان من دور وقدر ومكانة فمما لا أنساه ما حبيت طلته الأخاذة الساحرة وجه بشوش قامه فذة وابتسامة ساحرة، توّقد فكر، وعلو همة، وصلابة رأي. ومما لا أنساه أيضاً حبه لآل اليوسف واحترامه الشديد لهم والتشاور الدائم في كل صغيرة وكبيرة مع عميد العائلة آنذاك أحمد اليوسف. كان أنطونيوس وأحمد، بالإضافة إلى الأسماء الكريمة التي سبق ذكرها، محاور الحركة والنشاط في فترة الانتداب والاستقلال. كنا نصغي إليهما فتيناً يناقشون بعضهم وآخرين. والنقاش دائر حتى الفجر حول القضايا الوطنية. كان اسم عبد الحميد يتردد على ألسنتهم أحياناً.

أخيراً أحبيه بعليائه الشيخ أنطونيوس الضاهر وأنحني احتراماً للصداقة العظيمة التي جمعتنا وأحيى آل الضاهر والقيبات. وأنا على خطى الآباء والأجداد الكرام... سائرون.

أحمد اليوسف

حلبا – 1999/9/17

الشيخ أنطونيوس ضاهر ابن القبيات

عرفته منذ الستينات رجلاً كبيراً، وعرفه المجتمع، بل الوطن، عملاقاً من عمالقة هذه المنطقة الأبية. بصماته التي لا تزال موجودة تشهد على نشاطه وحيويته وكرم أخلاقه ونبله. أمضى حياته في خدمة مجتمعه، فكان الرجل اللامع.

ربطته صداقة وثيقة بالمثلث الرحمات المطران انطون عبد... وكان المختار الذي يستحق اللقب بكل مضامينه. ولد في بيت عريق وتابع حياته بشكل مضيء. وهو عندما غادرنا إلى ديار ربّه ترك بنيناً وبناتاً انتهجوا نهجه. كان رمزاً للعيش المشترك.

لقد كان رحمه الله مرجعاً اجتماعياً. ونحن إذ نتذكره بمناسبة مرور مئة سنة على ولادته، إنما نتذكر شخصاً هاماً لعب دوراً اجتماعياً رائداً في المنطقة.

مسعود بطرس

حلباً

هذا الرجل كأف رجل

كان الشيخ أنطونيوس من أهل الذكاء والمعرفة. كنا ننمائل بهذا الرجل ونقول عنه في أيام الشدائد إن هذا الرجل كأف رجل. لأنه كان يحضر إلى مكان أي حادث يمكن أن يقع بين عكار العتيقة والقبيات حول المراعي، يقول أنا أخذ من العاقل وأعطي للمجنون فيصبح الجميع عقال. وكان المطران عبد رحمه الله يأتي كل سنة إلى عكار العتيقة برفقة الشيخ أنطونيوس إلى منزل عبدو آغا الأسعد، ويتناولون الغداء عند آل الأسعد. كان يأتي في العيد إلى عكار العتيقة ومعه مجموعة من أهالي القبيات. وفي عيد المولد النبوي كان يزور الجامع في عكار العتيقة ويجلس قرب المشايخ. ومن صفاته كرم الأخلاق.

كان كبار السن يتمثلون به، ويقولون إن أمثال الشيخ أنطونيوس قلائل في عكار.

كان يزور عكار العتيقة أيام الانتخابات ويتشاور مع أصدقائه بخصوص المواقف من المرشحين.

وإن له فضل كبير في تقديم الخدمات العامة للأهالي ومساعدة الشباب على إيجاد وظيفة أو فرصة عمل.

يا دائم الفضل والإحسان، يا دائم البر أنت خير من ذكر.

معين الأسعد العلي – عكار العتيقة

شهادة في الشيخ أنطونيوس أغناطيوس الزاهر

1999/9/17

الشيخ أنطونيوس غني عن التعريف. وأنا عرفته عن قرب.

شخصية أنيقة ملفتة للنظر وصاحب القائمة الجميلة.

كان مرجعية معروفة ومحترمة من خلال انتمائه إلى آل زاهر، العائلة العريقة المعروفة أباً عن جد، وموقعه كزعيم، وشخصيته القوية وذكائه. كرّس حياته للحفاظ على مصلحة القبيات والمنطقة. وفتح بيته كزعيم معروف، فأصبح بيه كـ"منزول" مفتوح لكل من يقصده من الأصدقاء أصحاب الحاجة.

على صعيد المنطقة كان زعيماً وركناً من أركان عكار، والذي تتسلط عليه الأنظار لحل المشاكل. كان حاد الذكاء وله أسلوبه الخاص في الحياة.

عرف هو والشيخ وحيد نصار ومحمود بك الخالد بأنهم أقوى ثلاثة زعماء في منطقة الدريب.

ربطته علاقة احترام ومودة مع آل البيطار في عندقت وكنا نزوره، الشيخ عارف البيطار وأنا، للأستئناس بأرائه التي تعكس الحكمة. بممارساته ومواقفه شكل الشيخ أنطونيوس مدرسة يمكن الاهتداء بما تؤمن به وتفعله.

كان رجل سلام ودعا إلى التعايش والتهدئة والمحبة، بشكل أعطى نتائج إيجابية لعكار.

في العام 1975 كان الاجتماع الذي عقد في منزله لوجهاء المنطقة الشرقية في عكار، ناجحاً جداً، سياسياً كان هو العمود الفقري بالنسبة للمركز النيابي الذي فاز به الشيخ ميشال. كان دعامة قوية له على صعيد العائلة والقبيات والمنطقة. وبقي يقدم له كل ما عنده من إمكانيات.

وقد ضحى الشيخ أنطونيوس هو والسيدة الفاضلة زوجته بك ما أعطاهم الله من إمكانيات لإيصال أولادهم إلى ما وصلوا إليه لقد انجب البنين الصالحين الذين تبوأوا مراكز علمية اجتماعية. وكان الشيخ أنطونيوس يقف مع الدولة ومؤسساتها.

يوسف ساسين البيطار

في 1999/9/18

عندقت

حضرة الدكتور سليم الضاهر وأهله المحترمين

تحية طيبة وبعد

أود القول، بناء على الأسئلة التي وجهت إليّ خلال المقابلة البارحة، أنه مع أنني لم تتح لي فرصة معرفة والدكم الشيخ أنطونيوس أغناطيوس ضاهر إلا في العام 1971، إلا أنني عرفت الكثير من مكانته السياسية والاجتماعية البارزة وعن صفاته، من المرحوم والدي ملحم ملحم.

كان المرحوم والدي - الذي توفي عام 1973، رحمه الله، يقول لي إنه خلال الفترة الواقعة ما بين الثلاثينات والخمسينات، كان هناك ثلاثة زعماء أقوياء في منطقة الدريب في عكار. وكان هؤلاء الزعماء يحظون بالتقدير والاحترام، وكانت كلمته مسموعة لدى الشعب، كما لدى المراجع الرسمية في الدولة. والزعماء الثلاثة كانوا: الشيخ أنطونيوس أغناطيوس ضاهر، ومحمود بك الخال من البيرة، والشيخ وحيد نصار من عندقت.

وكان المرحوم والدي يؤكد أيضاً أن منزل الشيخ أنطونيوس أغناطيوس الضاهر في القبيات كان بيت كرم، مفتوح للزوار والأصدقاء، حيث يدعى إليه الناس واصحاب الحاجة ويكرمون بما يليق بكل إنسان، وبمكانة هذا البيت المعروف في المنطقة.

ومما أعرفه شخصياً عن الشيخ أنطونيوس هو أنه كان يؤمن الخدمات لأبناء المنطقة، ويساعد ذوي الحاجة. وكانت علاقاته الجيدة مع المسؤولين والموظفين تساعده على تحقيق ما يريد هو لأبناء منطقته من خير وتقديم.

مع مودتي وتقديري

أنطوان ملحم

أمين سر معهد الآداب الشرقية

جامعة القديس يوسف

منجز

أقوال

كان مرجعيةً للسياسيين في عكار والشمال. شخصيات مسيحية وإسلامية كانت تزور بيته الكريم، ويعودوا إليه في القضايا المعقدة. إننا نعتز بشخص مثله. وأنا كنت أرجع إليه في كل تصرفاتي السياسية، وأخذ آراؤه حولها، وكانت آراؤه سديدة. كان رجلاً كبيراً كبيراً ومهماً قلنا عنه لا نعطيه إلا جزءاً بسيطاً من حقه. كان ثابتاً في مواقفه و متمسكاً بمبادئه وقناعاته.

إن نيابتي وكل سياستي يعود الفضل فيها لاثنتان: الشيخ انطونيوس والمرحوم شوقي الدندشي

النائب السابق عبد الكريم بك القدور

كوشا — طرابلس

كنا نجتمع في بيت الشيخ انطونيوس في الخمسينات. وكنا نطلب من أهال عندقت وعيدمون أن يحضروا تلك الاجتماعات...

بحفظه الرسائل المكتوبة التي وجهناها لمشايخ القببات أظهر أنه عنده بعد نظر، ورجل معرفة. لقد أبقاها من أجل أن يذكركم أنتم أولاده وأنا أحاول أذكر أولادي كما فعل هو. هناك أشياء يمكن أن يذكروها ويتعلموا منها.

النائب السابق

الشيخ علي حمد جعفر

أقوال عن الشيخ أنطونيوس

" الشيخ أنطونيوس بالإضافة إلى أنه أبن عائلة عريقة ومن مشايخ القبيات، فقد كان بيته مفتوحاً..
عندما أتذكره أتذكر تلك الشخصية الحلوة وذلك الشخص الذي له طلة... عنده نوع من الوقار في
شخصه..."

العميد فهمي حمدان

شحيم — بيروت

كانت صداقتنا قوية معه، كان يعرف أن يعمل في السياسة مع الناس. القاسم المشترك بيننا كان الوفاء
والصدق. كان الشيخ أنطونيوس مثلاً في خدمة الناس. كان شخصاً محترماً ومحبوياً في المنطقة كلها. وكان
يدعى لحضور اجتماعات تأليف لوائح الانتخابات النيابية في عكار. أنا من الأشخاص الذين يقدرونه. وأشكر
الله أن صداقته انتقلت إلى أولاده. ونحن نتشبه به لأن كان من المشايخ الكبار. كان ذكياً جداً وفاؤه لأصدقائه
كبير..".

عزمي بك العثمان

ببنين

"تعرف أن الشيخ أنطونيوس هو من الطبيين... القضايا السياسية كانت بيد الشيخ أنطونيوس. كان
إنساني. وعندما كنا نذهب إلى القبيات، لم نكن نذهب سوى لعنده.

عبد الله بك الخالد

البيرة

كان مرجعية وإذا كان أحدهم يريد أن يشهر بالآخر، كان يقول له: أتخال نفسك أنطونيوس أغناطيوس؟
كان عنده لذة في خدمة الناس... أذكر مرة أن أناساً قصدوا شقيقي عارف (رئيس بلدية عندقت الأسبق) وهم
من أكروم. وكانوا على خلاف مع آل جعفر. فطلبوا من الشيخ أنطونيوس التدخل ليصلح العائلتين.

الأستاذ جوزف البيطار — عندقت

كان إنساناً محباً ووطنياً وصاحب أخلاق، وتحبه الجيرة كلها. في العام 1975 عقد اجتماع زعماء المنطقة الشرقية في عكار في منزله. كان مثالاً للتعايش والمحبة. وله خدمات كثيرة. ويعجز اللسان عن وصفه. وهو من عائلة عريقة. وهو إنسان معروف بعروبه وقوميته. كانت الاجتماعات تعقد دائماً عند الشيخ أنطونيوس. تعاون كشخصية وطنية، مع نقيب المحامين شوقي الدندشي وما اقترح المحامي شوقي أن يعقد اجتماع 11 تشرين الأول في منزله إلا تأكيد على أهمية موقعه وعلاقاته مع البلدات المجاورة.

الأساتذة أحمد خالد الدندشي – محمد الدندشي

ود. دحام الدندشي – مشتى حمود

كان رجلاً مثالياً. يقدم الخدمات لكل الناس. كان أفضل رجل في المنطقة وليس فقط في القبيات. من صفاته أنه كان طيباً ومحباً وكريم الأخلاق. وعلاقاته مع عندقت كانت جيدة جداً، وخاصة من خلال الشيخ يوسف مسعود.

الشيخ أمين عوض – عندقت